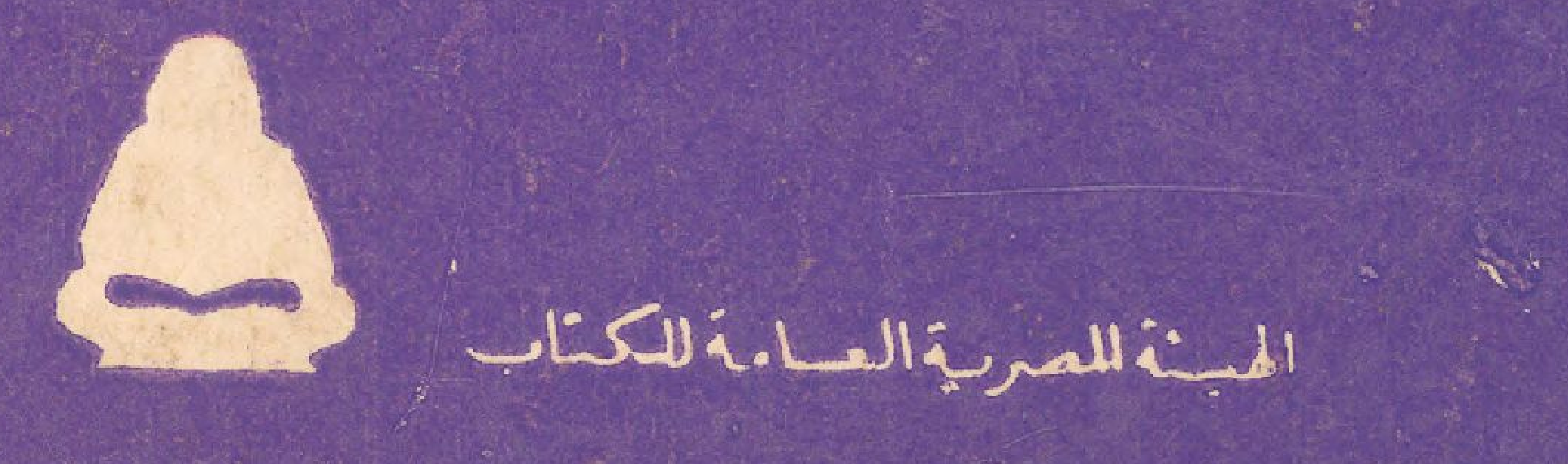


الفن والاستعمار الصهيوني

تأليف

سعد الخادم



المكتبة الثقافية
٢٩٧

الفن والاستعمار الصهيوني

تأليف

سعد الخادم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٤

تمهيد :

● حاولت بعض المراجع الأوروبية تصـــوير قصـــة بني اسرائيل وفقا لما جاء في التوراة ، مستندة الى بعض الخرائط التي بينت عليها مواقع المدن القديمة ، والجهات التي جرت بها الأحداث الوارد ذكرها في القصة ؛ وقد دعمت أسانيدها بصور فوتوغرافية لآثار بلدان مختلفة ، أو آثار فرعونية أو حبشية أو فينيقية ؛ كما استندت هذه المراجع أيضا الى فنون اليونان والرومان القدامى ، لتبين الاسرائيليين وهم في الأسر أو في أثناء التنكيل بهـم في الحروب ؛ أو غير ذلك من صور لم تكن للبرهنة على ما ورد في التـوراة ، وانما اتخـذت وســـيلة للدعاية للقضية الصهيونية، واظهار أحقية بني اسرائيل في أرض فلسطين، عن طريق تأكيد ما قاساه هذا الشعب من ذل وحرمان ، حتى تبدو دعواه المزعومة طبيعية في أعين القراء .

وفي مثل هذه المراجع ـ ومنها أطلس التوراة الذي طبع في فرنسا ـ نرى تزييفا مغرضـــا للحقائق وللفنـــون والآثار القديمـة التي جردت بعض تفاصيلها عن اطارهـــا

الحقيقى الذى صورت من أجله ؛ والأهداف الدينية التى كانت تخدمها تلك الرسوم أو النقوش • لقد جردت من هذا الاطار لتؤكد فكرة الاضطهاد والتنكيل ببنى اسرائيل، مع أن فكرة التنكيل بالأعداء ــ كما صورتها الآثار القديمة ــ لم تختص بتصوير شعب معين أو طائفة ذات مذهب دينى خاص ، وانما صورت ــ فى كافة الفنــون القديمة جميعها ــ أعداء فى حقبة زمنية معينة ؛ للشعب المصرى أو الآشورى أو غيرهما من الشعوب ، وقد يكون هؤلاء الأعداء مجرد قبائل متمردة ، أو أمراء بعض المقاطعــات جاهروا بالعصيان • واذن فتحريف مظاهر الصور والرسوم القديمة لمحاولة استنتاج أن عداء مستفحلا كان قائما بين شعوب حضارات الشرق الأوسط ، أمر يجانب الحقيقة ؛ فان المنازعات التى كادت تكون مستمرة بين تلك الحضارات الكبيرة وبعض مناطق الحدود التى تمردت وعصت كمــا سبق القول كانت من أهم سمات التاريخ القديم فى تلك المنطقة ، للحفاظ على التآلف والوحدة والتبادل التجارى والفكرى والفنى • أما التعصب الطائفى والرغبة فى التنكيل بالغير من أجل السيطرة فقد كان ذلك أمرا غير طبيعى بالنسبة الى السياسات العامة ، وكان أمرا غير عادى كمناوشــات الحدود وسطو بعض أصحاب النفوذ المحلى على مناطق لاغتنام مكاسب وقتية ؛ وهم على يقين من أن أصحاب الشأن قد يردونهم الى معاقلهم ويجازونهم أشد الجزاء على ما ارتكبوه من وزر •

فهنـاك دويلات عاشت قرونا طـويلة فى التربص وانتهاز الفرص لنيل مكسب وقتى ؛ وهذه الدويلات أو الأقليات التى أشار التاريخ اليها ، وأوضـح الأسـاليب التى اتبعت فى حملاتها لا تدل على سيادة روح البغـض والـكراهية بين شـعوب الشرق الأوسـط على تعـدد حضاراتها . فما تحاول الدعاية الصهيونية تأكيده حاليا فى مثل هذه المؤلفات يعد تحريفا للواقع ، بل قد تتخذ منه قرائن لاثبات عكس ما تحاول تلك الدعاية الوصـول اليه ، فجميع الأمثلة التى استندت اليها تلك المؤلفات انما تؤكد أن الأعداء المنكل بهم طغاة وسلاب لحقوق الشعب ، أشبه بقطاع الطرق أو اللصوص والقرصان ، يحق للحاكم الضرب على أيديهم وايذائهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم فى الكف عن السلب والنهب واللصوصية واصابة البلاد الآمنة بالاضطراب ؛ فهذه الأمثلة التى تأتى بها المراجع الأجنبية اليوم تثبت أن المنكل بهم سواء أكانوا يهودا أم غير يهود ، انمـا كانوا من بين الطـوائف التى عاشت على هـوامش الحضارات القديمة تبغى الكسب غير الشرعى ؛ والدليل على هذا هو أن مثل هذه المراجع الحديثة تعجز عن الاتيان بمظهر واحد فى الفن يدل على عظمة المنكل بهم كما صورتهم فنون مصر والشام أو العراق أو بلاد الفـرس . فلو كان لأعداء تلك الحضـارات العظيمة جذور راسـخة وعريقة لخلفت من بعدها ــ برغم انهزامها ــ بعض الآثار التى تدل على طابعها وتنفرد بايضاح مقوماتها الفنية الخاصة .

لقد اندحرت الحضـارة الآشـورية أمام الحضـارة الفارسية ، ولكن الفن الآشورى ظل قائما ؛ والحالة نفسها نراها فى مصر ؛ فلم تفلح الحضارات التى سيطرت فى وقت ما على مصر فى ازالة فن منطقة وادى النيل ، فى حين لا نجد قرائن على الاطلاق أو أى أثر مادى ذى طابع مميز لتلك الدويلات التى عاشـت على هامش الشـعوب التى أقامت التاريخ القديم وسجلت بفنونها معالمه .

ومما يؤكد هذا الرأى أن المراجع التى تحاول تخيل أساليب الفن التى كانت شائعة فى تلك الدويلات فى أوج عظمتها نراها تصـور فنونا تعـد مزيجا من فنـون الحضارات القديمة التى سبقت الاشارة اليها ، فهى تتلون بالفن المصرى متى زاد النفـوذ الفرعونى ، وتتخـذ الذوق الآشورى عند سيطرة هـذه الحضارة الأخيرة عليهـا ؛ ثم تتلون بعد ذلك باللون الفارسى ، وما ان تنتشر الحضارة اليونانية فى هذه المنطقة حتى تتأثر بمقوماتها لتتنحى عنها من جديد وتعتنق المذاهب الفنية الرومانية .

لقد أخفق التاريخ فى اظهار طابع فنى لهذا الشعب الاسرائيلى الذى يزعم لنفسه الحق فى أرض فلسطين ؛ بل يزعم لنفسـه ريادة الفـكر فى منطقة الشرق الأوسط بأسرها !

ويستدل من دراسة التراث الانسانى فى مجال الفن على أن الحضـارات أو الأديان التى أقامت لنفسها صرحا فنيا تميز بطابعه الخاص ؛ وتميز عن غيره بأسلوبه المبتكر ،

قد دلت على عظمتها بما خلفته من أثر فى هذه الناحية ؛ وأعنى هنا هذا الأثر الفريد فى نوعه ، كالأثر الاسلامى أو القوطى أو البزنطى أو الحضارات القديمة الفريعونية أو الاغريقيـة فلا تكاد ترى أى أثر من هـذه الآثار حتى تتعرف عليه على الفور دون جدال أو تردد ..

فاذا تناولنا موضوع الاضطهاد وبحثنا ثنايا الأحداث التاريخية ، نتبين أن عددا لا حصر له من المصريين القدامى أو الآشـوريين أو الحيثيين قد اسـتشهد ونكل به وكذلك الحال بالنسبة للذين استشهدوا من المسيحيين والمسلمين ، ولكن عظمة الحضـارات القديمة أو عظمة الأديان الـكبيرة كالاسلام والمسيحية ؛ لا تقاس فقط بالذين استشهدوا من أجلها وضحوا بحياتهم فى سبيلها ـ وانما تقاس بالأثر الانسانى الهائل الذى تركته وأقامته وغيرت معالم الطبيعة من أجله ، فالتضحيات لاقامة عهد جديد أمر مفروغ منه ؛ بل ينبغى أن تكون . ولا ينبغى الوقوف على مبكى التاريخ وفى حطـامه ، لأن العظمة والخـلود فى دلائل البنـاء وخصـائصـه ؛ وليست فى الأطلال المفتقرة الى سـمات مميـزة ..

حول ما كتبه ريناخ عن أمجاد اليهود :

من أهم المراجع التى تفضح المخططات الصهيونية ما نشره أقطاب اليهود بين منتصف القرن الماضى وبداية الحالى ؛ والتى جمعت فيها قصة اليهود عبر التاريخ حتى

بداية القرن الحالى ، وحاول فيهـا الكتاب أمثـال تيودور ريناخ فى كتابه المسـمى « تاريخ اليهـود » منذ تحطيـم حريتهم القومية حتى يومنا هذا .. ذلك المؤلف الذى نشر سنة ١٩١٤ ، والذى يستطرد فيه مؤلفه فيصـور قصـة اليهود كما لو كانوا من بناة الحضارات القديمة ، يستوى مجدهم بمجد الفراعنة واليونان ثم الرومان وغيرهم ممن أقاموا حضارات اهتز لها التاريخ بانتشار تراثهم الثقافى والفنى ليسيطر على سائر البلدان الأخرى .

ومن أغرب القصص التى يرويها ريناخ هذا صـلة اليهود بالحضارة العربية أيام الجاهلية ؛ ثم أيام محمد عليه السلام وخلفائه بعد انتشار الدعوة الاسلامية ؛ والتى يحاول فيها المؤلف ربط كل تقدم ونبوغ أحرزه العرب ، سواء فى الأدب والشعر أو فى العلوم والرياضة والطب بحوافز اسرائيلية حمل نبراسها اليهود ممن استعان بهم الوزراء والأمراء أو الخلفاء أو أهل الجاه من العرب ، حتى يكاد الأمر يختلط على القارىء فى تخبط منطق تلك الكتب التى ألفها أقطاب اليهود من المؤرخين ليثبتوا تفوق تراثهم وسيادته على سائر الحضارات التىوجدوا فيها . فعلى حد قول ريناخ هـــذا كان امرؤ القيس الذى عاش فى القرن السادس الميلادى ؛ وكان من رواد الشعر الجاهلى ؛ قد تأثر بالسموءل أو الصموئيل الذى كان يهـــوديا من أهل يثرب (المدينة) . وكان هذا اليهودى يقطن قصرا حصينا يأوى اليه المضطهدون من أبناء العرب .. وتوالت الأيام

وأم امرؤ القيس حصن السموءل مستنجدا به للثأر من قتلة أبيه الذين جردوه من ميراثه · وبعد أن قرع امرؤ القيس وفقا لهذه الرواية باب السموءل اليهودى ترك له أخته وأثمن ما كان يحمله من عدة وسلاح كأمانة فى عنق هذا اليهودى ، تلك الأمانة التى سار أحد ملوك الحيرة بجيش الى حصن اليهودى ليطلبها وقد هدد هذا الملك السموءل بقتل أحد أبنائه اذا ما رفض تسليم أمانة امرىء القيس التى كانت فى حوزته · وبدافع من أصول الشهامة ومقومات الفروسية التى كانت ـ وفقا لهذا الزعم ـ منتشرة عند اليهود ، وانتقلت منهم الى العرب ليقتبسها بعد ذلك فرسان المسيحية ، رفض الاقطاعى اليهودى هذا التهديد ؛ ورفض خيانة امرىء القيس الذى ائتمنه ففتك ملك الحيرة بأحد أبنائه ··

وهكذا اختلقت هذه الرواية ـ على ما تصوره ـ جوا اسطوريا وبطولات لا مثيل لها اتسمت به زعامات بنى اسرائيل فى جاهلية العرب حتى يكاد المرء يعزو عبقرية امرىء القيس لليهود أنفسهم !

ويوضح ريناخ ميول اليهود فى سبيل التوسع السياسى الذى ارتكنت اليه الدعوة الاسلامية مؤكدا استعانة خلفاء العرب بالمترجمين والعلماء اليهود لنقل التراث اليونانى والسريانى القديم الى العربية ؛ كاستعانة المنصور فى العهد العباسى بالوفير من تراجمة اليهود ··

ورغم ادعاء ريناخ أن اليهود قاسوا اضطهادا عنصريا من قبل العرب ، فحرموا عليهم أن يمتطوا الجياد فى الحفلات الرسمية ، نراه يناقض زعمه هذا بتأكيده انتشار خلايا يهودية تجمعت وترعرعت فى العواصم العربية بالقاهرة وفاس وقيروان وشتى البلدان التونسية ومن بين من هيمن على تلك الخلايا اليهودية علماء فى الطب وسائر العلوم ممن استعان بهم ملوك الاسلام فى شمالى افريقية • وعلى حد هذا الزعم كان اليهودى الطبيب إسحاق اسرائيل الذى توفى سنة ٩٤٠ م من أعمدة تأسيس الدولة الفاطمية التى حكمت مصر ! وكانت مؤلفات اسرائيل هذا ذائعة الصيت؛ وقد ترجمت الى الكثير من اللغات • ويبدو أنها كانت المصدر فى تأسيس كلية الطب بمدينة ساليرنو بايطاليا فى العصور الوسطى ••

وتلمس الزيف الواضح فى هذا الرأى الذى أرجع مصدر الدولة الفاطمية الى طبيب يهودى أسس سبل المعرفة فى مجالات الطب فى ايطاليا • ولعل هذا الرأى يحمل القارىء على الاعتقاد بأن روائع الفنون العربية التى ترجع الى العهد الفاطمى مصدرها هى الأخرى مقومات يهودية • بل يكاد المرء يظن أن الأيدى التى خبرت صنعها كانت هى الأخرى يهودية تشبعت بالمثاليات اليهودية التى درست تلك المدارس أو الخلايا المنتشرة أيامئذ فى سائر العواصم العربية داعية الى مقومات يهودية صرف تنعكس تارة على الطب ؛ وتارة على الفن وتارة أخرى

على نواحي الأدب والفن والشعر ، وعلى مختلف الصناعات النادرة القيمة .

ويدعم ريناخ رأيه هذا بقوله : ان الشعوب العربية كانت أكثر تمسكا واعتصاما بعلمائها وأقطابها في جوانب المعرفة من تمسكهم واعتصامهم بخلفائهم وأمرائهم ، وأن ضروب المعرفة في الحضارة العربية كانت قائمة على علماء اليهود ، بل ان تلك الفكرة اليهودية قد انتقلت بعد الفتح الاسلامي الى حضارة العراق والفرس ؛ مما ترتب عليه تجدد نشاط المثاليات اليهودية .

ويسترسل ريناخ في مغالطاته هذه موردا في كتابه أسماء من دعموا القضية اليهودية في غضون الحضارة الاسلامية؛ ويذكر من بين من يذكرهم اسم ذلك الفيلسوف اليهودي الذي يدعى جاعون، أي الكاهن، سعدي بن يوسف الذي عاش ما بين عامي ٨٩٢ و ٩٤٢ والذي ولد بالفيوم ؛ وتسنى له عن طريق سعة اطلاعه في أصول اللغة العربية أن يترجم التوراة الى العربية .

وممن أحصاهم ريناخ في مؤلفه من الذين اعتمد عليهم حكام العرب بين المشرق والمغرب حسدى بن شبروت الذي عاش ما بين عامي ٩١٥ و ٩٧٠ م ـ والذي عين وزيرا للمالية في عهد عبد الرحمن الثالث بالأندلس ومن بين يهود الأندلس يذكر المؤلف ابن جنه الذي كان يطلق عليه اسم أبي الوليد بن حرفان الذي عاش في قرطبة ومات بها

سنة ١٠٥٠ م ومن بين هذه الأسماء التى يحشرها أيضا ريناخ أسماء عشرات من اليهود بالأندلس كالبغائى ابن يوسف السراجوسى الذى ألف مجموعة كتب فى الصوفية ؛ واسحاق الفاسي ؛ وسلمون بن جبيرول المالقى .

وقد عني ريناخ بتبيان الجهود الأدبية والعلمية ومؤلفات اليهود بالتفصيل ، وما أنجزوه من تراجم ، بدرجة تجعل أذهان السذج تفطن الى أنه لم يكن وقتذاك سوى اليهود فى المغرب ليتسلطوا على مجالات التأليف والترجمة وغيرها ؛ كأن مجالات الثقافة والفنون كان يحتكرها كلية فئات اليهود .

وان كان تراث الاسلام بالأندلس لم يسلم من مثل هذه الادعاءات الباطلة ؛ فكذلك امتدت الأباطيل الى حضارة المماليك بمصر والشام ؛ حيث يزعم ريناخ أن اليهودى موسى بن ميمون الذى عاش بين عامى ١١٣٥ و ١٢٠٤ ، ولد بقرطبة ؛ ونزح بعد هذا الى الفسطاط ، قد اعتمد عليه قراقوش وزير صلاح الدين اعتمادا كليا ، حيث كان يعالج ابن هذا الأمير . وامتد صيت موسى بن ميمون الى أسماع الملك ريتشارد قلب الأسد ، فاستدعاه خلال الحرب الصليبية الثالثة ليداويه من مرض ألم به .. وكان ميمون هذا يشغل منصب حاخام القاهرة ومصر ، وظلت ذريته تتوارث من بعده منصب الحاخام الأعظم فى مصر .

ومن بين الادعاءات التى يذكرها ريناخ فى كتـــابه « تاريخ اليهود » وصفه تلك الحقبة التى يطلق عليها العهد العثمانى الذى ساد فى أواخر حضارة المماليك ؛ اذ يزعم ريناخ أن تركيـا كانت فيما بين القـرنين الخـامس عشر والسادس عشر بمثابةالأرض الموعودة لبنى اسرائيل ممن شردوا من الأندلس والبرتغال وايطاليا وبوهيميا وألمانيا ٠٠ ويزعم المؤلف ان الســادة الأتراك الجدد ـ أســوة بمن سبقوهم من الحـكام العـرب فى الأندلس ـ قد اعتمدوا اعتمادا كليا على اليهود وقدراتهم الفنية والعلمية على حـد ســـواء ، حيث يقول ان محمد الثانى ، وبايزيد الثانى ، والسلطان سليمان ؛ قد عولجوا جميعا على أيدى أطباء من اليهود ، ولا سيما من عائلة حمون ٠

* وكان من الاسرائيليين بتركيا من يدعى يوسف ناسى الذى حصل فى عهد السلطان سليم على ثروة طائلة عن طريق تزوجه من امرأة أندلسية ثرية ٠ وقد انتهى أمر السلطان سليم بتعيين هذا الثرى اليهودى أميرا على دوقية ناكســوس سنة ١٦٦٥ ؛ وعن هــذا الطريق تسنى له أن يســتحوذ على مدينة طبرية بفلسطين ، حيث وطن فيها جمعا غفيرا من أبناء ملته ، وأقام بالمدينة صناعة القز ، غير أن ناسى هــذا عزل فى نهاية أيامه وهــو فى نوبة غرور وطموح ، وصودرت أمواله ، لكنه كان قد أفسح السبيل من بعده للكثير من اليهــود ليرتقوا الى المناصب الرئيسية فى الآستانة ، لا سيما الطبيب سلمون أزكناسى الذى كان

طبيبا وولى فى وظيفة سفير تركيا لدى البندقية ولكن أزكناسى لم يلبث فى تلك الوظيفة سوى فترة قصيرة ولقى حتفه فى ثورة حرس قصر الباب العالى ٠

وهكذا لا يدع المؤلف ريناخ فرصة للقارىء لدراسة حقبة تاريخية الا دس فيها أسماء عشرات من اليهود ممن تقلدوا أرقى المناصب خلال تلك الحقبات التاريخية ، بل ضحوا بحياتهم فى سبيل بلوغ غاياتهم السياسية والمذهبية أو الاقتصادية ٠ والمؤلف يوحى على الدوام بقيام ما يشبه بطانات عظيمة وراء المآثر التاريخية الكبرى ٠ وهو يذيل كتابه بتواريخ وأحداث هامة تبدأ بالنسبة لصفحات تاريخ اليهود سنة ٧٠ م وتنتهى سنة ١٩١٣ ؛ حيث حرص فى ذكر أحداث سنة ١٨٩٧ على الاشارة الى تأسيس الحزب الصهيونى ٠٠

ويسرد تاريخ ريناخ أحداثا يغالى فى تقويمها كأنها من الدعامات التى استندت اليها الحركات السياسية الكبرى فى العالم ، فهو ينوه بثورة اليهود سنة ١١٥ وسنة ١١٧ م فى مصر وقبرص ؛ ثم ثوراتهم سنة ١٣٢ و ١٣٥ م ؛ ويشعرنا هذا السرد بأن أحداثا خطيرة قد طرأت وقتذاك فى حين أنها قد تكون مجرد مشاغبات ما لبثت أن قمعت ٠٠

ويحرص هذا التاريخ المزيف على تأكيد تاريخ اعتراف الامبراطور الرومانى كراكلا باليهود سنة ٢١٢

واعتبارهم مواطنين رومان ، ويؤيد هذا التاريخ أيضا قيام ثورة يهودية بمنطقة الجليل بفلسطين سنة ٣٥١ على الرومان ، وفي سنة ٤١٥ يؤكد فكرة جهاد اليهود ويذكر ريناخ طرد اليهود من الاسكندرية سنة ٤١٥ في عهد الرومان أيضا ٠ وفي سنة ٥٣٦ يزعم المؤلف أن اليهود دافعوا عن مدينة نابولى ٠ وفي سنة ٦٤٠ يوقع عمر إبن الخطاب عقدا مع اليهود ؛ وفي سنة ٧٣٠ يذكر اعتناق ملوك الفرس من أسرة خنتشار الديانة اليهودية ، وفي سنة ٧٩٧ يذكر اعتماد شارليمان على اليهودي اسحاق ليجعله مبعوثا له ؛ وحدث سنة ٨٨٥ أن نفى الملك لويس الثاني يهود ايطاليا ٠

ومن الأسانيد التي حرص هذا المؤلف على تأكيدها ، لتبيان مدى ما قيل عن اضطهاد اليهود خلال العصور الوسطى ، تلك المزاعم والأقاويل التي يغلب أن تكون من حملة الشائعات التي روجها اليهود أنفسهم لاثارة العطف بين الناس على قضيتهم ؛ وللتمويه على خفاياهم ، فيقول المؤلف ان اليهود في ايطاليا كانوا خلال القرن الثالث عشر يقاسون كثيرا من الاضطهاد ، ويذكر أن الحكام أرغموهم على ارتداء بعض الملابس التي تميزهم عن غيرهم ، وأن اليهود في أوربا خلال انتشار الطاعون في مختلف الأقطار نسبت اليهم تهم تدبير هذا الوباء ؛ حيث صورت القصص اليهود في أبشع صورة ٠٠ وأن الكنيسة على حد هذا الزعم كانت تقوم بتدبير تلك الشائعات لاثارة الرأى العام

ضـد هذه الطائفة البغيضة ٠٠ وعلى نحـو ما يسـعى ريناخ فى تقسيم تاريخ اليهود الى تاريخ نضال وأحداث يتضح فيها الاضطهاد المدبر لتلك الأقلية . يصورهـا فى مكان آخر على أنها حاملة نبراس العلم والمعرفـة ، ورائدة فى مجالات الفلسفة ؛ بل مؤازرة للملوك وحكام المشرق والمغرب سواء أكانوا من المسلمين أم من المسيحيين عربا أم فرنجة ، مؤكدا قيام هذه المؤازرة بمحض شعور فطرى وحب الولاء والأمانة على مصالح الغير ٠وان كانت هذه المزاعم المزيفة تؤيد من عطف الناس على اليهـود وقضـيتهم ـ ولا سيما بالنسـبة لتلك الحوادث والاستشهادات التى يبرزونها ويؤكدونهـا على نحـو الاستشهادات التى أصابت شهداء المسيحية عند قيامها ـ فمن البديهى أن نلمس فى أواصرها صفة الخديعـة والزيف ، فما من شك فى أن الاستشهادات والنضـال الشعبى الذى نشأ فى كل موطن راح ضـحيته ألوف مؤلفة لم تسجل صفحات التاريخ أى اسم من أسمائها ؛ وانطوت قبورهم فى صفحة النسيان ٠ ولكن ما نلمسـه فى هذا التاريخ المزيف من قيـام بطولات أو افتعـال بطولات لا تكاد تذكر فى أية صفحة تاريخية جادة ، ورغم هذا فالمؤلف لا يجد حرجا فى المضى فى زيفه وتمويهـه على الحقائق ودسه صفات البطولة حيث لا موضـع لها ٠٠

ونحن فى تعقيبنا على هذا التاريخ الذى يحـاول

أن يضفى مسحة اليهودية على الدولة الفاطميـــة تارة ؛ والدولة الأيوبية تارة ، والدولة الأمـوية بالأندلس تارة أخرى ، فضلا عن دول أوربا ، تلك المسحة اليهودية التى تغلغلت ـ على حد هذا الزعم ـ فى أكنافها ، نحن نذكر تلك المساعى التى يبذلها اليهود من بعد ريناخ وتاريخـه المضلل فى اثارة مشـــاعر الناس بالقضايا اليهودية حتى يومنا هذا ؛ وتجنيد الفنون لخدمة هذه الدعاية المغرضة فتجند السذج من غير اليهود لحمل لواء هذا المخطط وبث دعاويه ومزاعمه ، واثارة العطف على قضية طالما ضللت الشـــعوب ، وما زال عملاؤها يضللون الناس بأسانيدها حتى اليوم ،زاعمين أنهم دعاة التآخى والتسامح والعطف، لتعويض هذا الشعب ـ على حد هذه الأكذوبة ـ عما قاسى فى أحقاب التاريخ ؛ وان الفنون الداعية اليوم الى اثارة مآسى اسرائيل أو الاسرائيلية انما تدخل تحت نطـــاق واحد ..

سجل المخازي
يهود أوربا في الفن

● لم تكن الخلافات بين العرب واليهود وليدة أزمة فلسطين وقيام دويلة اسرائيل وحدها ، بل يرجع هذا الخلاف الى عهود غابرة ؛ منذ وضحت مساوىء هذه الروح الطائفية الغادرة فى بلدان عربية متعددة : فى مصر والجزائر ومراكش وسوريا وغيرها من البلدان العربية التى تعاون فيها هذا التعصب العنصرى والمغتصب المستعمر الذى كان يسيطر على تلك البلدان ذات الصبغة العربية المؤكدة ٠

والتاريخ حافل بالمآسى التى ارتكبها حينذاك أجداد الصهاينة اليوم ، وبأساليب التزييف والتدليس نفسها ٠

واذا كان أمر هؤلاء اليهود وكرههم وتحاملهم على المواطنين العرب الأبرياء قد ظل واضحا حتى اليوم ، فان هذا التحامل السافر لم يكن موقوفا على الشعوب العربية فحسب ، وانما كان مصوبا أيضا – برغم نكران الأوربيين هذه الظاهرة – للكثير من الشعوب الأوربية التى تحامل عليها أعوان هذه العنصرية وأضروا بها أضرارا بالغة ٠

وان كانت بعض البلدان الأوربية تعطف اليوم على الصهاينة وتصورهم فى اذاعاتها وفى المقالات الضافية التى تنشرها الصحف هناك – تصورهم فى براءة الحمل ووداعته وتصور العرب قساة يحاولون حرمان هذا الحمل الوديع من الماء ؛ مع أن هؤلاء العرب كانوا فيما مضى من أهل البادية ، ويعرفون ما لنقصان الماء من أضرار بالغة تنجم عنه وتضطر حتى الأشقاء الى القتال من أجله ٠

وسبل الاعلام الأوربية بهذا التزييف فى المنطق ، وتقديم الأدلة والبراهين عليه ، وصياغته بما يقنع الأوربيين بهذه المزاعم ؛ تغفل فى الوقت نفسه ما كتبه الأوربيون أنفسهم على مر القرون عن فضائح اليهود ومفاسدهم فى هذا القطر الأوربى أو ذاك ٠٠ وليس أدل فى هذا المضمار وأقطع فى دلالته على فضح المزاعم اليهودية وما ارتكبوه من أوزار فى القرن الماضى ، من هذا الكتاب الضافى الذى كتبه أحد علماء الآثار الغربيين وهو ادوارد درومونت سنة ١٨٨٥ تحت عنوان «فرنسا

اليهودية » ـ نشره فى جزءين تزيد صفحات كل منهما على الخمسمائة صفحة ..

وفى هذا البحث يقدم المؤلف بدقة فائقة تحركات رءوس الأموال اليهودية فى فرنسا وغيرها من البلدان ، وكيف كانت تشترى الحكومات ، فتحرك بسلطانها الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ومراكش بما فيه منفعة ليهود تلك الأقطار ؛ مبينا بالأرقام والحساب مغانم اليهود والمؤسسات التى كانت تمولهم والمنشآت التى أنشئوها ثم بين المؤلف نواحى الاقتصاد الفرنسى المختلفة بعد الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ؛ وكيف سيطر عليه اليهود وأفسدوه ؛ بل أفسدوا نواحى الحياة الفرنسية كلها .

ومن المخازى التى ارتكبها اليهود فى فرنسا فى مجال الفن مما أورده المؤلف درومونت أيضا فى كتابه المسمى « فرنسا اليهودية » أن من أولى المهام التى عنى بها اليهود فى فرنسا إثر قيام الثورة الفرنسية واعدام الأسرة المالكة بها ، نهب وسلب مصاغ الأسرة المالكة بفرنسا ؛ بل خزائن الملبوسات بقصورها . ومن قول لسان حال جريدة الثورة الفرنسية فى جملة مقالاتها الصادرة فى الخامس من مارس والخامس من ابريل والخامس من مايو سنة ١٨٨٥ عن أسرار اختفاء خزائن الملبوسات من قصور الأسرة المالكة الفرنسية ، يمكن تكشف أسرار تلك الفضيحة وتآمر اليهود على سلب

فرنسا جوانب هامة من تراثها القومي ؛ ويؤكد هذا الرأى فى نسبة هذه السرقات الفاضحة ليهود فرنسا الكاتب دالون فيل فى كتابه المســمى « مذكرات سرية » حيث يذكر في الجزء الثالث منها أن خزائن الملابس قد سرقت بتدبير عصابة يهودية تحت زعامة تليان وبانيس وفارين مما حقق لتلك العصابة اليهودية ربحا يقدر بثلاثين مليون فرنك ، فقد مونت كميات الماس المسروقة من التـــاج الفرنسى تجار الأحجـــار الكريمة فى ألمانيـــا وروجت تجارتهم فترة طويلة من الزمن . وقد ربح من جراء صفقة الماس هذه اليهوديان دآنتان وفابر .

وتقول المقالات الواردة في دورية محكمة الجنـايات الفرنسية الصادرة اثر قيام الثورة الفرنســية ان تهمة سرقة خزائن الملابس الفرنسية موجهة الى يهودى يدعى لويس لاير ولد فى انجلترا وكانت سنه وقتذاك ٢٨ عاما كذلك وجهت التهمة الى يهودى آخر يدعى دى شان ، وقد صدر عليه الحكم بالاعدام ونفذ فيه . ومن بين الذين نسبت اليهم التهمة نفسها عائلة داكوستا ورويفواعرون هنبرج . ومجمل القول فى هـذه الفضيحة التي اهتزت لها فرنسا اثر تحررها أن طائفة كبيرة من المســتغلين اليهود تآزروا على نهب البلاد الفرنسية وتجريدهـــا من تراثها وثرواتها القومية التى كان يجب أن تودع فى يد السلطات للحفاظ عليها .

ومن غريب المصادفة حيال هـــذا النهب المنظم أن

الكنائس المسيحية فى فرنسا خلال هذه الفترة تعرضت هى الأخرى لنهب وسطو مؤكدين ؛ حيث سلبتها المنظمات اليهودية فاستحوذت على جميع الآنية الفضية التى كانت تزخر بها الكنائس ، هذا عدا التحف الفنية الأخرى التى ان لم تقع فى حوزة القراصنة فقد كانت تشترى على أيدى عملاء تلك المنظمات اليهودية بأبخس الأثمان من الرهبان والقساوسة الذين كانوا موكلين بالحفاظ عليها .

ومن غريب المصادفة أيضا مشروع اليهود فى تلك الفترة من تاريخ فرنسا فى شراء بعض الكنائس بما ضمته من أبنية وأثاث ومفروشات وغير ذلك ؛ وكانوا بعد أن يجردوها من أنفس التحف التى زخرت بها ، يؤجرونها للمسيحيين بفرنسا . ويمكن القول على سبيل المثال أن اثنين من اليهود ـ هما أوتيفير واستيفر ـ اشتريا كنيسة القديس جيل بجهة سان دنيس سنة ١٨٠٢ ثم أجرها اليهود بعد سلب نفائسها الى القساوسة المسيحيين بمبلغ ثلاثة آلاف فرنك فى السنة ؛ ثم زيد هذا الايجار الى عشرة آلاف فى السنة التالية . وحيال تزايد هذا الايجار وتضخمه السنة تلو الأخرى اضطر أهل هذه البلدة سنة ١٨١٠ الى شراء الكنيسة من اليهوديين بمبلغ ٢٠٩٣١٢ فرنكا ، بعد أن نهب اليهود ما بها من تحف وجردوها من كل ثمين ونادر .

وهكذا تتتابع الأمثلة التى سعى فيها اليهود الى

اقصاء الفنون المسيحية ، وذلك اما بنهب الكنائس أو شرائهـا ثم هدمها وما الى ذلك من أسـاليب كان الأهالى فيها على الدوام فريسة لتلك المنظمة الساعية فى طمس تراثهم القومى والدينى على حد سواء ٠

واذا كانت أهداف اليهود فى فرنسا قد امتـدت الى الكنائس فقد امتدت أيضا الى قصــــور الاقطاعيين ، فجردتها من أثاثها القديم ، فقـد آستغل اليهود فرصـة انشغال الرأى العام بالقضاء على الاقطاع فى فرنسا ، وتحامل الرأى العام عليه ؛ ليوهموا الجميع فى حملاتهم اللصوصية أنهم يريدون اصابة الاقطاع بالسوء ؛ ويرغبون فى الانتقام من فظائعه ، فى حين أنهم يسلبون فى الخفاء جميع ما اكتنزته البلاد فى تلك القصور القديمة من أموال ومصاغ وتحف فنية ونفائس وجدت طريقهـــا الى أيدى المرابين من اليهود داخل فرنسا وخارجها ٠

ويبدو أن عناية اليهود بالسطو على التحف والكنوز الفنية لازمت مخططاتهم أينما كانوا ، فان المؤلف درومونت يروى فى كتابه هذا قصص الارهاب اليهودى فى الجزائر وما تفننوا فيه من أساليب الاحتيال على العرب هناك ، وسـلبهم ديارهم ونفائس ممـــا أبدعته أيدى العبقريات العربية ٠٠ ويروى المؤلف قصص الجمعيـات اليهودية التى تأسست بالجزائر : جمعيات الربا الفاحش التى استحوذت على الكثير من الأملاك التى أوقفت على خدمة المســاجد والملاجىء والمدارس ودور ضيافة الحجاج من المسلمين ؛

اذ نظمت المخططات للسطو على جميع المرافق التى تخدم القضية الاسلامية ، وقد اضطر المسلمون بموجب أحكام القضايا الى دفع ديونهم لليهود عن طريق بيع ممتلكاتهم أو نزع ملكيتهم ٠

ويروى المؤلف قصص المرابين كالمدعو مسكيج وغيره ممن شردت على أيديهم دور آهلة بالأسرات الاسلامية استنزفت آخر ما عندها من مال لتجد نفسها فى نهاية الأمر عزلاء مشردة فى موطنها الأصلى ، فى عزلة عن حرفها وصناعاتها وأملاكها وفنونها مما إستحوز عليها اليهود وأوقفوها على أنفسهم ٠ وكان العرب المسلمون فى كفاحهم الشعبى ضد الاستعمار الفرنسى يحتاجون الى مزيد من المال لتمويل حملاتهم وجهادهم وكان اليهود حينذاك يقدمون المال الى عرب الجزائر بالربا ، وسرعان ما كان هذا الربا يتضاعف ويتضخم الى حد يستحوز فيه اليهود على أبسط الأشياء المملوكة للعرب المدنيين كالخيام والملابس والمصانع وغيرها ؛ حتى توافرت ظروف بلغت حدا من التناقض افتقر فيها العرب واضطروا الى بيع جميع ممتلكاتهم ، حتى المنقولات منها ٠

وليس بغريب أن يتضح حيال هذا العرض السر فى اختفاء الصناعات العربية العريقة فى الجزائر ، بل اختفاء كنوز الفنون العربية الأصيلة التى بيعت بأبخس الأثمان وروجت بعد ذلك أسواق المرابين اليهود فى الجزائر وأوربا ممن غنموا ثروات طائلة من جراء هذه الحملات

المنظمة على التراث الفنى فى البلاد التى تمتد اليها منظماتهم .

ونحن نورد من بين ما ذكره عن الفن ما يمكن عن طريقه أن نتبصر تلك الاستعدادات التى تمخضت عن الصهيونية فيما بعد ، وكان لها منهاج خاص فى نواحى الفن ، بل يمكن أن نتبين ـ عن طريق استدلالات هذا المؤلف الفرنسى القديم ـ ما حدث على نحو مماثل فى الأوساط الفنية اليهودية فى مصر ؛ ما بين مطالع القرن الحالى والعدوان الثلاثى الغاشم على مصر سنة ١٩٥٦ .

يصف المؤلف الفرنسى ـ على سبيل المثال ـ قصر البارون الفرنسى دى روتشيلد ، ذلك المليونير اليهودى الذى ينتمى الى أسرة دى روتشيلد التى جاءت الى فرنسا سنة ١٥١٨ فقيرة قليلة الموارد وأصبحت فى سنة ١٨٧٠ ذات ثروة تعد بالمليارات !!

ولقد أراد دى روتشيلد هذا أن يحاكى لويس الرابع عشر فى جمع أندر تحف العالم . وكانت قصور أسرة روتشيلد فى باريس حصونا مهيأة كحصون القرون الوسطى يعتصم بداخلها أصحابها ؛ ويدافعون عن أنفسهم من خلال أبراجها ، بل لقد كانت تلك القصور أشبه بالمسارح المتحركة ؛ فقصر الفونس المقام فى شارع القديس فلورندين حصين تماما ؛ وجميع الدواليب

الزجاجية المهيأة لحفظ التحف النفيسة محكمة الاقفال ، بل انها ـ بمجرد الضغط على بعض الأزرار ـ تغوص داخل الجدران وتغلق عليها أبوابا حديدية كالخزائن الصلبة .. ثم ان اللوحات المعروضة فى ردهات وأفنية هذا القصر لها أغلفة أشبه بصناديق لكل تحفة صندوق مصنوع من الجلد ومرقم ترقيما دقيقا يجعل من اليسير شحن جميع محتويات هذا القصر فى ساعة واحدة ، وقد تكلفت هذه الأغلفة وحدها ٥٠ ألف فرنك .

وتساءل الكاتب الفرنسى : متى تدق ساعة اختفاء تلك اللوحات وترحيلها الى موطن آخر ؟

ومن هذا البيان البسيط والوصف المقتضب يتضح أن تحف أكثر الأثرياء اليهود فى أوربا كانت ـ منذ زمن طويل ـ تنتقل بين وطن أوربى وآخر كالزئبق ،حيث يدخرها أصحابها لأوقات الشدائد والمحن ؛ فلا يكاد الجمهور أن يرى تلك المجموعات حتى ترحل الى خارج حدود البلاد بعد ذلك بساعات .

وهناك من كان يلجأ الى حيلة أخرى ، فيصنع لكل تحفة من التحف النادرة التى يمتلكها الثرى اليهودى نظائر مزيفة . بل ان المصاغ الذى كانوا يملكونه كانت تصنع له قرائن مزيفة أيضا ؛ وجميع هذه الحيل لم تكن خوفا من السرقة والاختلاس ، ولكنها كانت وسيلة بارعة للتمويه عند نقل هذه الكنوز من موطن أوربى الى آخر ..

ويضيف المؤلف فيقول : ان الذوق اليهودى فى جمع التحف يجعل من مساكنهم مزيجا منفرا من أنماط وفنون لا رابط بينها ، وكأن القصور اليهودية استعراضات لكل ما هو ثمين يخطف الأبصار .. ولا ينجم عن هذه الرغبة الملحة فى بهر الأبصار سوى ذوق منحل لعدم تجانسه فى المفروشات أو الرياش أو التحف وما الى ذلك ..

وأن كان هذا القول يصف حقا الذوق اليهودى فان المؤلف الفرنسى لم يفطن الى أن هذه الظاهرة التى تسود قصور جميع الأثرياء اليهود ، سواء أكانت فى باريس أم لندن أم برلين أم القاهرة ، وتدل على التعمد فى عدم جعل المقتنيات ذات طابع موحد ، لم تكن هذه الظاهرة سوى خدعة أخرى تهدف الى سهولة تسرب المجموعات أو أجزاء منها الى الأسواق دون أن يتعرف المشترون على أصحابها ؛ لأن صفة عدم التجانس سائدة بين جميع جامعى التحف الفنية .

ويستطرد المؤلف الفرنسى فيقول: ان مقتنيات اليهود كمجموعة البارون دى روتشيلد يتضح فى كثير من نماذجها المصنوعة من الذهب أو الفضة أن دمغات الذهب أو الفضة تبدو تقليدا لدمغات قديمة ترجع الى عهود غابرة ، مما يجعل المرء يساوره الشك فى أصالة كثير من هذه التحف المصنوعة من المعادن النفيسة ؛ وهذا يؤكد كثرة انتشار الزيف بين مقتنيات الأثرياء اليهود

وتعمدهم اظهـار مجموعات وعرضها على زعم أنها قديمة حقا ، فى حين تختفى فى خزائنهم الأصول الحقيقية لها ٠

ومن طريف ما يذكره المؤلف دورمونت فى الجشع والنهم الى المال وعدم احساس أهله من اليهود بالاكتفاء مهما اكتظت خزائنهم بالمال وازدحمت قصورهم بالتحف كأسرة روتشيلد ذلك الثرى الذى اشترى لقب بارون من أسرة اقطاعية مضمحلة ٠ ان البارون روتشيلد كان يقيم لضيوفه حفلات صيد ؛ ويفسح لنزلاء قصره سـبل القنص ، قنص الطيور والغزلان وما الى ذلك من حيوانات انتشرت فى الغابات المحيطة بقصره ، وكان الضـيوف يجمعون فى حجراتهم ما وفقوا الى صيده من فرائس ، وما أن يدعوها لينصرفوا الى نواحى اللهـو والطرب التى يوفرها لهم البارون الثرى ، حتى كان هذا يطوف بنفسه بصحبة خدمه على الحجرات ليسرق منها ما صيد ويبيعه لتجار الجملة على مشارف المدينة بأثمان باهظة كأنواع نادرة من الطير والصيد النفيس ٠٠ وهكذا كان البارون يسـخر الضيوف مزودا اياهم بالسلاح والآلات ليتاجر فى الصيد ، دون أن يفطنوا الى تلك الحيل الدنيئـة التى كان يلجأ اليها ٠

وان كان المؤلف درومونت يذهب فى تفنيـد تلك الظواهر الخبيثة التى ساقت اليهود فى فرنسـا الى انتحال شخصيات أهل الاقطاع تارة وتقمصهم شخصيات أهل البارون والكرم تارة أخرى ، فان فى ذلك التفنيد ـ

الذى خص فى تبيانه مخازى اليهود فى فرنسا وشمالى افريقية خلال القرن التاسع عشر فقط - يوضح لنا فى مضـامينه وجملة الأحداث التى يظهرها المؤلف ما حـدث بالفعل وعلى النحو نفسه فى مصر وفقا للمخطط عينـه لسلب البلاد المصرية وتجريدها من طابعها العربى وفنونها الاسلامية • وليس بغريب أن يصـبح سوق النفـائس والحاجات الفنية ؛ وهو سـوق خان الخليلى ، عند بداية القرن الحالى ؛ فى أيدى التجار اليهود ، بل ان غالبيـة من استحوزوا على متاجر بيع النفائس الأثرية ممـا كان منتشرا حول أكبر الفنادق المصرية كان فى أيدى اليهـود أيضا •

وكما يندب درومونت الحظ السىء فى تسرب نفائس الكنائس المسيحية فى فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر يمكن أن تندب حظ نفائس الفنون الاسلامية التى نهبت هى الأخرى من المساجد ؛ بل يمـكن أن نندب حظ تلك المخطوطات التى ضلت سبيلها ونهبت من موطنها على أيدى أجراء يعملون فى مخطط شديد الشبه متين الصلة بذلك الذى كان يعمل فى فرنسا أيام درومونت وقبله • وقد نجد فى كتاب درومونت هذا تفسيرات كثيرة لظواهر قامت فى مصر وتأكدت بعد العدوان الانجليزى سنة ١٨٨٢ •

وهذه السبل وأمثالها من بين الوسائل الخبيثـة التى كان يعتمد عليها أقطاب اليهود فى فرنسا ، مدعين

أنهم من مشجعي الفنون والعاطفين على صغار الفنانين ؛ وأنهم حريصون على عدم تبديد أو تشتيت الندوات الفنية فى البلاد ؛ ونذكر على سبيل المثال كيف تبنوا عمليـــة احتيال فنى سنة ١٨٨٣ حيث نظم المسئولون بايعاز من بعضهم « يانصيبا » لدعم الفنون التطبيقية فى فرنســـا ، تحت لواء جمعية الفنـــون التطبيقية الفرنسية، وكانت جوائز هذا اليانصيب تبلغ أكثر من ثلاثمائة ألف فرنك مقسمة على ما حصر له من الأوراق الفائزة .

وما ان أعلنت الصحف الفرنسية شروط « المسابقة » وما لها من نفع مباشر على الفنانين وأهل الفن ؛ حتى بدأت بعض الصحف تنشر الاعلانات المغريـة لبيـــع أوراق اليانصيب هذه ؛ وأعلنت أن هذه الأوراق تمنح مجـــانا لمن يشتري بعض المؤلفات المناهضة من المكتبـات التى وقفت نشاطها على بيع الكتب التى تسىء الى الكنيســـة الكاثوليكية فى فرنسا ؛ وأن من يشترى كتابا من تأليف اليهودى « ليون تكسيل » كالمؤلف الذى يدعى « الكتب السرية لقادة الكنيسة واعترافات رعاياهم » يقتسم قيمـة ورقة اليانصـيب الفائزة مع صـــاحب المكتبة التى تقدم للمشترى ورقة يانصيب بالمجان .

[illegible] LA SOCIÉTÉ FRANÇAISE [illegible] 151

[illegible] 25,000 [illegible] 500 [illegible]
[illegible] 600,000 f.

[illegible] la Librairie
anticléricale.

Toute personne qui achètera [illegible]
[illegible] un exemplaire du volume LES LIVRES SECRETS
DES CONFESSEURS publié par M. LÉO TAXIL, [illegible]
pour moitié aux chances de gain de deux billets [illegible]
[illegible] C'est-à-dire que tout acheteur du volume [illegible]
[illegible] en prime gratuite le double de deux bil-
lets de cette loterie. Dans le cas où l'un des numéros [illegible]
[illegible] sortira au tirage, la
valeur du lot gagné sera partagée par moitié entre
l'acheteur et la Librairie; et, de même, si les deux billets
[illegible]
UN BILLET POUVANT GAGNER 600,000 FRANCS,
300,000 fr. seront donc la part de l'acheteur du vo-
lume de la librairie Anticléricale.

Les de Chabanes, les Sabran, les Chevreuse, les
[illegible], les Faure, les [illegible], les Paul [illegible]
ont [illegible] à l'œuvre des Arts décoratifs, [illegible]

شكل (١) نص اعلان اليانصيب الخاص بالفن التطبيقى كما
ظهر فى الصحف الفرنسية سنة ١٨٨٣

وهكذا تحول اليانصيب المزعوم أنه لدعم الفنـــون
التطبيقية الى أداة سافرة لمناهضة الكاثوليكية تواطـــأ
فيها الفنانون والمشترون وأصحاب تلك المكتبات الحسيسة

التى حاولت أن تشـــترى ضمائر الناس باغرائهم بالربح ، ولم يكن هذا اللون من التحامل الدينى هو الوســــيلة الفريدة التى لجأ اليها أقطاب تلك العنصرية البغيضة ، بل لقد ظهرت فى مجالات الفن وبين أرباب حرفه المختلفة مجموعة من الصور الخسيسة التى تمثل رجال الكنيســة فى صور شائنة وأنواع من الفجور لا يكاد يصدقهـــــا العقل .

ومنذ القرون الوسطى كانت نقابات العمال والفنانين توزع على أعضاء كل حرفة فنية صورا تمثل القديسين الذين اتخذوا حمـــاة لكل حرفة فنية ، وكـانت هـذه المطبوعـات تصور هؤلاء القديسين وفى رحـابهم أربـاب الحرف وصناعها ، كل فى يده الآلات والأدوات التى درج على استخدامها ، وكانت ورش العمل والمصـــانع تفيض بتلك اللوحات المطبوعة التى تتسم بطابع الوقار ، ولكنها تحولت على أيدى اليهود فى مناهضة الديانة المسيحية الى صور مسرفة فى التحامل على رجال الدين ، مما يجعل الفنون فى مجموعها وصناع هذه الفنون فى حياتهـــم الخاصة وفى تعبيراتهم ؛ متحاملين على كل مـــا يمت الى الكنيسة بصلة ؛ وذلك باقبالهم على شراء هذا اللون من الفن المتحرر الذى يروج الفسق والعـــربدة ، وكأن شعارات الفن أضبحت هى الأخرى مسايرة لتلك القيم الأخلاقية المنحلة .

وقد لا يستغرب المرء ـ حيال هذه الانحرافات ـ أن يتأثر أصحاب الرأى الفرنسيين بهذه النزعات الداعية الى الانحلال والجموح عن المبادىء الدينية القويمة : حتى أن أساتذة مدرسة الفنون الجميلة فى باريس أصبحوا اليوم يستنكرون الأعمال الجادة والأصيلة : ويغدقون الجوائز على كل ما فيه اسراف ومناهضة للدين .

واختلال تقويم الفن الذى نلمسه اليوم فى فرنسا لم يكن سوى ظاهرة وليدة لهذا التحطيم المنظم الذى دبره الفكر اليهودى وجعله شعارا للفنون الأوربية الحديثة حيث بدأت صفة الفنون المريضة تتفشى ، ليس فقط بين فنون التصوير والنحت ، بل أيضا بين فنون الكتاب الفرنسى الذى كانت له أكبر مكانة فى القرن السابع عشر ، فتدهور اليوم وأصبح كل ما فيه يعكس اسرافا فى الحس واثارة الشهوات .

هذه هى بعض المشكلات التى أحس بها ادوارد درومونت فى أواخر القرن الماضى ، وهى قريبة فى وصفها من تلك الأحاسيس التى صورتها لنا الأجواء اليهودية : بمصر فى أواخر القرن الماضى ، وبالأحرى منذ مطالع القرن الحالى ، حتى العدوان الثلاثى : حيث كانت الفرصة مواتية حينذاك لتهريب التحف التى جمعتها الأسرات الثرية اليهودية فى مصر : فالوصف الذى ذكره المؤلف الفرنسى يكاد ينطبق على جميع القصور اليهودية التى أقيمت فى القاهرة والاسكندرية فى تلك الفترة ، فقد كانت هى

أيضا بمثابة حصون ومتاهات لها غرف سرية ، ودهاليز مختفية وراء الجدران ، ومداخل يمكن أن يتسرب منهـــا المرء دون أن يشعر به من بالقصر وكانت تلك القصـــور غاصة بالتحف مكتظة بمجموعات متنافرة يكاد يختلط الأمر على المرء في تمييز نفيسها من زائفها •

وكان للكثير من أندر قطع هذه المجموعات قرائن ، ونذكر على سبيل المثال لوحة بالحجم نفسه والموضوع عينه توجد منها نسختان احداهما بمتحف الفنـــــون الجميلة بالاسكندرية ، وقد رسمت على لوح من النحاس ؛ والأخرى لدى احدى الأسرات اليهودية بالمدينة نفسها ، وقد رسمت على قطعة من الخشب • ولا يعرف أى اللوحتين أصـــيلة وأيتهما زائفة •

وان كانت هذه حالة من بين الحـــالات التى أمكن الوقوف عليها ؛ فهذا لا يعنى قيام صناعات فى مصر كان روادها من اليهود أو غيرهم ممن دأبوا على تزييف العملات الأثرية القديمة والحلى والمصاغ والأثاث واللوحات الفنية •

وهم اذا كانوا قد برعوا فى هذه الناحية فقد برعوا أيضـــا فى سبل التمويه عن التحف القديمـــة وطمسها حتى يتيسر على ممتلكيها الخروج بها من الوطن المصرى الى مواطن أخرى ومن بين أساليب التمويه هذه ادخال بعض التحف فى الأثاث وتنجيدها ولا سيما الأثاث القـــديم

البالى الذى يبـــدو عديم القيمة . ولقد توارت مجموعات كبيرة من التحف بهذه الكيفية بعد قيام ثورتنا الاشتراكية ويرجح أن تكون التحف والآثار التى راجت وغصت بها الأسواق المحلية والمزادات ، كأسواق خان الخليـــلى وحوانيت الآثار ؛ بعد هجرة العديد من الأسرات اليهودية قبل سنة ١٩٥٦ وبعدها - يرجح أن تكون غالبيتها زائفة وأن هذه السلع الفنية من لوحات وتماثيل أو آنيـــة معدنية قديمة وأثاث قديم قد صنعت محليا ، وليســـت لها قيمة حقيقية فى الأسواق الخارجية .

يقول المؤلف الفرنسى : ان الفنون ظلت فتـــرة طويلة من النواحى التى دأبت على اكتنازها الأرستقراطية الأوربية فكانت الفنون الجميلة من شعارات الارستقراطية حتى نكبت هذه الأرستقراطية الأوربية والفرنسية بوجه خاص - عن طريق الثورات الشعبية التى قامت ؛ أو لتدهور اقتصاد العائلات الثرية القديمة لسبب أو لآخر . مما اتضحت سماته فى أواخر القرن الثـــامن عشر حين اضطرب هذه الأرستقراطية الأوربية والفرنسية على وجـه التحديد الى بيع مقتنياتها ، فتصيدها عملاء المزادات الذين كانوا وما زالوا يهودا فى السواد الأعظم منهم .

وتملك اليهود نفائس قصور فرنسا ؛ وتسربت الى أيديهم درر ممالك بأسرها بأبخس الأثمان وأقلها تقديرا بفضل تثمين العملاء اليهود وسيطرتهم على المبيعات ؛فيغالون فى أثمان الزائف منها ، ويبخسون أثمان نادرها ، لتقح

لقمة سائغة فى أيدى أقطـــاب اليهودية ورءوس أموالها الكبيرة ؛ فلا يقام مزاد حتى تلعب أصابع اليهــــود بسبل دنيئة فى تزييف حقائق هذه الآثار الثمينة ،ويتفق فى كل مرة أن يحظى اليهود بنصيب الأسد منها ويتركون لغيرهم أرذل الأصناف وأردأها .. وقد بينت الاحصاءات حقائق مذهلة فان الأرستقراطية الفرنسية بعد أن باعت قصورها وممتلكاتها الشاسعة وتوافر لديها قدر من المال ؛ وأقبلت بايعاز من أذناب اليهود وعصبتهم على شراء ما خف حمله وغلا ثمنه من المقتنيات الفنية والتحف النادرة . وهنا ظهرت أسواق قد هيئت خصيصا لهؤلاء القوم الذين لم تكن لهم دراية وافية بخصائص الفن وفوارق أنماطــه فأقبلوا فى جهل عظيم على شراء الاصـناف المزيفة التى اختص اليهود بصنعها .. لقد أقام اليهود صناعـــات كاملة لتزييف المنتجات الفنية التاريخية فيما بين عصور ما قبل التاريخ وعهود الانسان الأول ، حتى منتجـات الصين والهند وغيرها ..

وعلى حد قول الكاتب الفرنسى كان من رواد هــذه المدارس التى اختصت بالتزاييف ؛ نفر من اليهود أمثـال كوبلنتز وغيره من المزيفين ممن ذكر أعمالهم التخريبية مؤلف فرنسى آخر يدعى « بول أوديل » الذى وصف كيف كان اليهود يبرعون فى تزييف تماثيل التنجرا الصغيرة الحجم ، وتماثيل خزفية من الســـفر والسكس ، ويزيفون الميداليات التذكارية ، والتماثيل البرونزية . ولقد اختص

كوبلنتز هذا فى تزييف المنمنمات الأوربية التى ترسم على جامات بيضية ؛ ولقد غصت أسواق أوربا ومتاجر الآثار فيها بالأعمال التى كان يقبل على شرائها السذج ويخدع فى أمرها عدد وفير من التجار غير اليهود ٠

ومن المهازل التى حدثت فى الأوساط الفنية بباريس فى أكتوبر سنة ١٨٨٤ ادعاء السماسرة اليهود أنهم سيبيعون بالمزاد العلنى مجموعة نادرة من اللوحات ـ لكبار المصورين كان يمتلكها أحد الأمريكيين وبمعاينة أحد الصناديق تبين أن كل ما به من لوحات مزيف ٠ ولقد حدثت قبل هذه المهزلة نادرة أخرى سنة ١٨٦٣ ـ تعد من عداد النصب اليهودى فى مجال الفن ، اذ اختير لتزيين مجلة الفنون الزخرفية التى تصدر بباريس لوحة ذات اطار مزركش صنع من البرونز وزعم اليهود أن اللوحة يرجع تاريخها الى عصر النهضة الايطالية ، ثم اتضح أن أحد اليهود ويدعى ييبر قد صنعها وباعها لتاجر يهودى بمبلغ ١٦٩٠ فرنكا ، فباعها هذا التاجر ـ على أنها تحفة أثرية نادرة ـ بمئات الألوف من الفرنكات ؛ وأصبحت شعارا لمجلة الفنون الزخرفية ٠

ولم يقف هذا اللون من الاحتيال عند هذا الحد ، فلقد حدث فى تلك الفترة أيضا أن تقدم أحد اليهود يدعى سفيرا الى المتحف البريطانى بلندن عارضا أن يبيع قطعة أثرية ترجع الى عهود تتراوح ما بين سبعة وعشرين

قرنا وثمانية وعشرين قرنا ، وكادت الصفقة أن تتم لولا الأثرى الفرنسى «كليمونت جانو» الذى فضح للانجليز حقيقة هذه التزييفة الكبرى ، وبين أن هذه التحفـــة ليست سوى شرائح من أحد المعابد اليهودية عليهـــا نصوص من التوراة ويرجع عهدها الى قرنين من الزمان على أكثر تقدير ، وقد قطع المحتال الأجزاء الدنيا من هذه اللفائف التى كتبت على رق غزال وغمس طرفها فى زيت به بعض القطران ليكسب الجلد مظهر القدم . وكتب على خلفية هذه اللفائف عبارات أخرى تنسب الى مخطوطات متناهية فى القدم . ولما اتضح أمر سفيرا اضـــطر الى الانتحار فى مدينة روتردام فى هولندا سنة ١٨٨٤ . وقد بيعت هذه اللفائف المزورة بلندن بعد وفاة اليهودى المحتال فى سبتمبر سنة ١٨٨٥ بمائة فرنك .

ومن الحوادث الأخرى الكثيرة التى برع فيها اليهود فى ميادين الاحتيال والنصب والتزييف فى أوربا ، تلك الحادثة التى أريد بها التغرير بمتحف برلين فى الفترة نفسها ، حيث تقدم أحد العملاء اليهود الى ادارة المتحف عارضا بيع مجمـوعة من الآنية الخزفية القديمة بمبلغ ٦٠٠ ألف فرنك ؛ وتبين فيما بعد أن هذه الآنية من صنع يهودى يدعى سليم القارى من الذين كانوا يقطنون فلسطين . ولقد تفنن هذا المحتال فى إستخدام طينات من مواضع أثرية ببيت المقدس لكى تبدو عند فحصهـا بالمجهر والتحاليل الكيماوية مطابقة لأوصاف الآثـار

المتناهية فى القدم التى يرجع منشؤها الى تلك الحلقات الغابرة من تاريخ فلسطين ٠

ولم تكن هذه آخر نادرة لمتحف برلين ، اذ أرسلت اليه لوحة مزعومة من صنع المصور الهولندى فرانس عكس ٠ وما ان أرسل المتحف صورة شمسية للوحة الى الخبير هارلم ووقع عليها نظره حتى انفجر ضاحكا لوضوح الزيف الذى تمثل فيها ٠

ويضيف المؤلف « ادوارد درومونت » فى كتابه أيضا أن ما صدر من المزيفين اليهود فى محاولاتهم للنصب والاحتيال على متاحف أوربا لم يكن موقوفا على متاحف لندن أو برلين ، ولا مقصورا على الاحتيال فى مجالات الفن التى راجت عند راغبى الاقتناء لتكوين مجموعات خاصة ؛ بل يبدو أن متحف اللوفر ـ أسوة بغيره من المتاحف لم يسلم من احتيال اليهود ، فقد توسط التاجر الاسرائيلى لدى المتحف المذكور ليجعله يقبل على شراء ثلاث لوحات للفنان فرانس هلس بمبلغ ١٠٠ ألف فرنك وما كاد المتحف يدفع ثمن هذه اللوحات حتى تبين له زيفها الحقيقى ، اذ لم تكن قيمة هذه اللوحات المزيفة تزيد عن بضعة فرنكات ٠ وقد صدرت تفاصيل مخزية فى مجلة « كوريير ديلار » فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٨٥ فنشرت أدلة قاطعة تبين عن طريق مستندات موثوق بها ألا قيمة لهذه اللوحات على الاطلاق ؛ لعدم قيام أى صلة بينها وبين الفنان فرانس هلس ٠

ونكب متحف اللوفر المرة بعد الأخرى ؛ اذ ما كادت تنتهي مشكلة لوحات فرانس هلس الثلاث حتى ظهرت مشكلة صفقة شراء ست لوحات من روائع فن التصوير من عميل اسرائيلى آخر بينها لوحة مزعومة للمصور بنوتتسيلى .. وتدل أحداث هذه الواقعة على ان المجموعة كانت ملكا لأحد اليهود ، فأراد طرحها فى الأسواق ولما كانت هذه المجموعة التى لا تقدر بثمن مهددة بالضياع أو التفرق ؛ فقد رغب محبو الفنون فى باريس ، وعلى رأسهم المليونير الفرنسى « ديروتشيلد » فى التطوع بالاكتتاب لشراء هذه اللوحات ؛ فأسهم بألف فرنك ، وتحمل ـ حملة مدبرة ـ غيره من أصحاب الأموال والهيئات المسئولة على دفع أثمان طائلة لهذه المجموعة التى ما كادت تدخل اللوفر وتعرض على أمينها لأول مرة ـ هذا الأمين الذى تجنب عملاء هذه الصفقة أن يشركوه فى الرأى أو فى معاينة الصور التى اتفق على تقديمها الى هذا المتحف ـ ما كادت تعرض عليه هذه الأعمال بعد اقتنائها حتى صاح لما تمثل فيها من دلائل الزيف ؛ وكان رائد هذه الحيلة اليهودية المنظمة البارون ألفونس ديروتشيلد .

ولو انتقلنا من مجال النصب والاحتيال لترويج السلع الزائفة الى مجال المغانم الفاضحة التى كان يفوز بها العملاء اليهود لبيعهم الى متحف اللوفر لوحات أصيلة لاتضح أن هذا النوع من الكسب قد جاوز أيضا

نطاق المعقول وأصبح من ضروب النهب والسرقة والابتزاز التى يعاقب القانون مرتكبيها فى مجالات أخرى بالسجن . ونذكر على سبيل المثال حادثة السمسار اليهودى « أنطونين بروست » الذى توسط باسم المتحف المذكور لشراء ست لوحات من انتاج المصور الفرنسى « كوربيه » وقد فوض بروست يهوديا آخر أو بالأحرى عميلا يدعى هنرى هيتشتان ـ اتخذ اسما مستعارا هو « مرتل » لشراء خمس من اللوحات المرغوب فى اقتنائها ،فاقتنى اللوحة التى تدعى «النطاق الجلدى » بمبلغ ٢٦٫٠٠٠ فرنك ؛ ولوحة « الرجل المطعون » بمبلغ ١١٫٠٠٠ فرنك ، ولوحة « الراحة فى الجرن » بمبلغ ٢٩٫١٠٠ فرنك ، ولوحة « صراع بين الغزلان » بمبلغ ٤١٫٩٠٠ فرنك وأخيرا دفع مبلغ ثلاثة وثلاثين ألف فرنك للوحة « غزال » والغريب فى الأمر أن الأسواق الفنية الأوربية دفعت لأعظم لوحة أنجزها كوربيه مبلغ ٣٥٫٠٠٠ فرنك ؛ وكان ذلك فى مزاد بقاعة « ليبل » .

وتبين من الأسواق القائمة والصفقات التى كانت تجرى أن قيمة اللوحات التى تشبه تماما تلك التى اقتناها اللوفر لم تكن تزيد على أربعة آلاف أو خمسة آلاف فرنك . ويمكن تخيل مدى ما انتفع به أو بصحيح العبارة ما اختلسه الخبير الفنى « ريناخ » وعميله « هرشيت » بكسبهما ما يزيد على ١٥٠٫٠٠٠ فرنك دفعت

من أموال الفرنسيين الذين سلبوا هذا القدر البالغ من المال بدون وجه حق ٠

وهناك من الوقائع بل من المخازى ما هو أعمق أثرا من تلك المغانم اليهودية التى سلبها العميل « بروست » اذ جمعت من الشعب الفرنسى سنة ١٨٨٠ مبالغ طائلة بدعوى الحفاظ على التراث الفنى ، وذلك بايحاء من وزير الفنون الجميلة بباريس ، وفوض بعض العملاء اليهود فى اقتناء هذه التحف التى دفع فيها مبلغ ستة ملايين من الفرنكات ٠ وتولى العميل « اسبنزر » وآخر يدعى « يوجين مونتز » كان يشغل مركز أمين لمكتبة الفنون الجميلة بباريس ، كما أسند الأمر للعميل « أنطونين بروست » ؛ وتمت على أيديهم الصفقة ، واقتنيت بعض القطع القديمة من الأثاث وآنية خزفية محطمة لا قيمة لها ودفع الشعب فى ثمن هذه السلع التى لا قيمة لها ما كان يكفل شراء قوت للشعب الفرنسى بأسره يوما كاملا ٠

وان كانت تلك المهازل قد حدثت منذ ثمانين سنة فما زالت سبل الاحتيال قائمة على أشدها على أيدى العملاء اليهود الذين تخصصوا فى ضروب الاحتيال هذه وجعلوها

من المهن التى يفخرون بها ويأتونها ضد المواطنين الذين يرغبون فى شراء اللوحات الفنية والأعمال النـــادرة ؛ وينفقون فى اقتنائها المال بغية الانتفاع به عند الحاجة فلا يكاد هؤلاء السذج من جامعى التحف الفنية يقعـون فى شرك اليهود ، ويقبلون على شراء سلعهم التى وفروهـا حتى تتضح لهم مخازيها وزيفها ، ذلك الزيف الذى زينه لهم اليهود وما زالوا يزينونه الى اليوم للكثيرين من السذج فى العواصم الأوربية .

النضال الطائفى
فى الفن الصهيونى

● وقد نتساءل هنا عن حقيقة التيارات الفنية بداخل اسرائيل .. والجواب عن هذا السؤال لايحتاج الى الاستزادة بمعلومات من تل أبيب نفسها ، لتكشف أحوال الفن هناك ، وأسباب تعثره لأن مثل هذه المعلومات تتردد على ألسن نقاد اوربا بطريق مقنع أو بأسلوب مموه ..

فمن أهم مشكلات الفن فى اسرائيل أن الفن فيها يحرك من الخارج وليس للفنان الصهيونى بداخل فلسطين أن يختار لنفسه مذهبا فنيا خاصا به .

ان الفنان هناك ماهو الا أداة تنفيذ لمخطط يفرض – كما سبق القول – من الخارج والخارج هنا هو مختلف

البلاد الأوربية التى تعين الصهيونية وتزودها بالمال . وتقوم المراكز الصهيونية بها بتدبير ورسم الحدود التى يجب أن تتحدد بها الفنون والعلوم فى وطنهم المزعوم .

وقد نجانب الصواب اذا نظرنا الى أولئك الأذناب أو الأدوات المنفذة القائمة فى فلسطين على أن لها قدرة التشريع أو التخطيط ، أولها حرية التحرك فى غير الاطار الذى وضع لها من الخارج .

وما يدهشنا حقا هو أن الرءوس المحركة لهذا الجهاز الفنى تنظر الى الفنان فى داخل اسرائيل على أنه أشبه بالنملة العاملة فى قرى النمل ، وظيفتها اعداد الطعام وتخزينه ولاينتظر خروجها عن هذا الاطار من العمل . وبالمثل – ولو أن هذا يبدو غريبا – لاتنتظر الأدمغة الصهيونية المحركة من الخارج أن يغزو الفنان الصهيونى من أهالى فلسطين ميادين الفن الأوربى – أو أن يكون له أى مخرج فيها فهذه الميادين – أو بالأحرى هذه الآفاق العليا – موقوفة على متزعمى الفكر الصهيونى وقادته فى الخارج فى مجالات الفن ، كما فى غيرها .

أما الفنان النازح من فلسطين فقد يشجع بالمال ويزود بالامكانات على أن يعود من حيث أتى ويظل يعمل فى الاطار المحدد له .

وهنا وجب أن نستوضح طبيعة هذا الجهاز المفكر والمحرك من خارج اسرائيل ثم نستعرض حال الأداة المنفذة

الداخلية . فالجهاز الموجه فى نواحى الفن يظل على الدوام خارج اسرائيل منتشرا فى مواطن متعددة ، يستفيد بالأجواء الفنية بها ، ويستخلص صفوة النزعات الفنية الجديدة ، ويحاول تزعمها ، فيحول أهدافه لاحراز مثل هذا السبق بكل ماتحتاج اليه هذه المشروعات من مال ، يذلل لها الصعاب ويهيىء لها الامكانات على أن يأتى السبق على يد رواد الصهيونية فى اوربا أو أمريكا دون غيرهم .

ولما كانت هذه المراكز الصهيونية المنتشرة فى مختلف الأقطار مرتبطة بعضها ببعض فانه يتسنى لها جمع الخبرات التى يزود بها فريق الى مايجمعه الفريق الآخر فتتهيأ عن طريق هذه الأرصدة من الخبرات مجالات التقدم .

لقد أيقن رواد الصهيونية أن العزلة عن تلك المجالات الفنية وأجوائها التى تتدفق منها على الدوام التيارات الفكرية والفنية الجديدة ، انما تجعلهم يتخلفون عن ركبها فهذه المجالات قد احتاجت لبلورتها الى أجيال طويلة ، ولايمكن خلقها بين يوم وليلة فى حقل أجرد مثل اسرائيل. ففى تلك الأوساط الفنية بأوربا وأمريكا تصنع مواهب فنية كثيرة لشباب يفنى ولايسمع عنه أحد ، لأن هذه الأجواء الفنية تعيش وتسير وتحيا على هذا الوقود الانسانى ، فيستفيد قادة الصهيونية فى مجالات الفن من

هذه الضحايا ، ولايحاولون انشاء مراكز اشعاع وتجريب، أو أجواء تسير على النسق نفسه فى اسرائيل ، لعدم رغبتهم فى التضحية بشبابهم وبما تستفيد منه مراكز الاشعاع هذه أو الأجواء الفنية فى أوربا وأمريكا ، انها تستند فى غالبية الأمر الى تقاليد فنية نشأت وظلت قائمة فى كل موطن من المواطن التى يتسنى للفنان الاستفادة منها ، وهذا رصيد ضخم من الخبرات الفنية لا يستهان به .

وتتضح فى هذا المجال مشكلة جديدة هى أن الفنون الأوربية التى تتخذ قواما أساسيا للفن الصهيونى بعيدة فى طابعها عن الناحية الدينية ، بل يمكن أن يقال دون مغالاة – ان معظمها لا دينى ، وأن الفنانين الصهيونيين الذين يقيمون فى أوربا ويمتازون فى فنونهم يسايرون الاتجاه نفسه ، برغم محاولة بعضهم تصوير قصص التوراة .

ونكاد ندهش لهذا التناقض فى توجيه السياسة الفنية فى موطن مزعوم – حيث يعد التعصب الدينى شعارا للصهيونية . فبينما نتوقع جنوحا لنوع من الفنون توقف جهودها على تأكيد هذا التعصب ، نرانا أمام فنون لا دينية تفرض من الخارج ، فتقيد حتى تعبير الذين يريدون التعبير عن التعصب الدينى فى فنهم .

ولانستطيع الوقوف على أسباب هذا التناقض الا

بدراستنا حالة الجهاز المنفذ لهذا التوجيه الخارجى : أى حالة الفنان بداخل فلسطين ..

فالفنان الصهيونى فى داخل فلسطين يعانى كثيرا من مشكلات التميز العنصرى ، فالنازحون منهم من البلاد الأوربية يحتقرون الشرقيين ، وليس هذا التميز العنصرى موقوفا على مجال الفن فحسب ، وانما فى مختلف المجالات وفى ناحية الفن يحتمى المتأثر بالثقافة والفنون الغربية بتفوقه على الصهيونى الشرقى الأصل الذى يفتقر الى ثقافة فنية ومثاليات فنية يمكنه أن يستند اليها ، فلاغرو أن قامت تلك الحزازات بين الفريق المتفرنج والشرقى الأصيل ، اذ يشعر الاول أن الثانى دونه فيتجنب مخالطته ، فى حين يشعر الثانى أن الأول دخيل عليه . ومن جهة أخرى نجد أن الفريق المتفرنج - برغم كبريائه وادعاءاته - يشعر هو أيضاباحتقار الموجه الأوربى له . وهكذا يتدرج السلم الطبقى وتنكشف الحزازات الناتجة من تلك التفرقة التى تعد بعيدة كل البعد عما تزعمه الدعاية الصهيونية من قيام جو لا مثيل له بين أفرادها تسوده الألفة والمودة .

ونضيف فى تفنيدنا لهذه المزاعم أن من دلائل الشقاق بين هذا النظام الطبقى فى مجال الفن أن الذين ينتمون الى أصل شرقى يرون فى الفنون المنقولة عن المدارس الغربية حيادا عن تعصبهم الدينى ، فهى - كما

سبق القول ـ تتصف بأنها لادينية ، وتظهر لنـــا حينئذ ثغرة جديدة فى مشكلات الفنون فى التنظيم الصـــهيونى ـ والغريب أن يزعم هذا التنظيم برغم الثغرات القائمة فيه من جراء هـــذا النضـــــال الطبقى البغيض ـ يزعم أو على الأقل يأمل التفوق واحـــراز سبق فى ميـــادين الفن على مجتمع اشتراكى ذابت فيه الفوارق الطبقية ، وهو مجتمع جمهورية مصر العربيـــة ، حيث تســـنى للفنون وصـــل حاضرها بتراثها الفنى القديم دون التردد فى مسايرة الفن الأوربى .

لقد تسنى للفنان المصرى الاحتفاظ بطابعه العربى والشرقى وتطويره وتكييفه وفقا لأحـــــدث الاتجـــاهات الفنية ، بل أن يجعل لهذا الفن طابعه المميز وسط الفنون الأوربيـــة ، فكيف تأمل الأوســـاط الفنية الصهيونيـــة الوصول الى ماتوصلنا اليه فى الناحية الفنية وهى مازالت تتخبط فى نضالها الطائفى فى ناحية الفن .

أسباب تناقض الفنون الصهيونية :

وليس أيسر بعد هـــذا التمهيد من مناقشة مواطن الضعف فى أهداف الفن فى اسرائيل تلك الأهـــداف التى تبـــدو لأول وهلة متناقضة ، لا لسبب ســـوى التمويه والتضليل عن النوايا الخبيثة المختبئة وراءها .

وأوجه التناقض الواضحة فى الفن الاسرائيلى تستند الى خلق نوعين من الفنون :

النوع الأول : يتصف بالطابع الشعبى الذى يتذوقه العامة ولايحتاج فى تفهمه الى ثقافة رفيعة ، فهناك نوع من الفن الصهيونى وليد البيئة الجرداء الصارمة فى داخل المزارع الجماعية التى تدعى كيبوتزيم (جمع كيبوتز) والتى يعيش فيها الفنان فى ظروف قاسية تكاد لاتتوافر فيها سبل الحرية فى التعبير أو التصرف ، وهذا اللفيف نراه أشبه بالمجندين ، بل هم مجندون بالفعل اذ يدخل التعبير الفنى ضمن برامج محددة ترتبط بساعات الانتاج وأوقات معينة للراحة أو الاطلاع ، وكان الفن فى صورته هذه وليد نوع من التدريب والمران ينتج ليقابل الاستهلاك المحلى فى داخل تلك المعسكرات أو تلك المزارع الجماعية التى ماهى الا معسكرات حقة ، فهذا العامل الذى يقضى ساعات طويلة فى عناء واجهاد لفلح الأرض وانبات تربتها يحتاج — وفقا لهذا الزعم — فى فترات الاستجمام الى نوع من الترفيه والتثقيف اللطيف الذى لايحتاج الى جهد عقلى كبير أو الى قدر كبير من الثقافة والاطلاع . ولا غرابة أن يتشكل هذا اللون من الفنون بطابع يفتقر الى العمق ، فيأتى هزيلا مقلدا لفنون أجنبية أشبه بالفنون التى تصنع خصيصا لتناسب ذوق السائحين فى أوربا أو أمريكا . .

والنوع الثانى : من الفنون الصهيونية فى اسرائيل

يتسم بالطابع الأرستقراطى أو يبدو كما لو كان انتاج الخاصة من الناس ، ومنه يحاول الفنان التعبير عن أحدث التجارب الفنية التى ظهرت فى أوربا والتى تبدو خارقة محطمة للتقاليد الفنية التى سبقتها ، وقد يترك للفنان الصهيونى العنان ليجرب ويستحدث على مثال ماأتت به أكثر الفنون الأوربية تطرفا ، وبطبيعة الحال لا يرجى لمثل هذه التجارب الشاردة أو الخارجة على المألوف من أذواق الناس أن تصادف رواجا عند السواد الأعظم من محدودى الثقافة أو حتى هواة الفن .

وقد يتساءل المرء عن سبب هذا التباين فى تخطيط اتجاهات الفنون فى اسرائيل . والاجابة عن هذا التباين تبدو جلية اذا مااستعدنا دعائم الفلسفة الصهيونية نفسها ثم استعرضنا من ناحية أخرى مجالات الفنون فى أوربا وأمريكا تلك المجالات التى يهيمن عليها ، ويكاد يسيطر عليها تماما أنصار الصهيونية فهناك ألوان كثيرة من الفنون تحتكرها تلك الطوائف المؤيدة سواء فى الظاهر أو فى الباطن لاسرائيل ، وسواء كانت هذه الفنون هى فنون السينما أو الفنون المرتبطة بالأزياء والحلى ، أو فنون التصوير والنحت أو التصميم الداخلى . فهى فى جملتها تعد خادمة لأهل اليسار . وان كانت أسواقها تمتد الى المستويات الشعبية من الأفراد فهى ولاريب قائمة على رأس المال المستغل ، ولايمكن التفكير فيها أو تخيل انتعاشها فى ظروف كالتى نراها قائمة فى معسكرات المزارع

الجماعية فى اسرائيل . تلك الظروف التى تقتضى مزيدا من التقشف بما لاتحتمله النفس فى كثير من الأحيان ، الأمر الذى اضطر عددا غير قليل من أفرادها الى الفرار منها والالتجاء الى مواطن أخرى .

والفنون الأوربية أو الأمريكية فى مجال الفن التشكيلى تحاول فى ـ ظل هذا النوع من الاسراف السائد والمسيطر على أسواق الفن ـ تشجيع الاتجاهات المتطرفة التى أصبحت فى ترويجها وتسويقها أشبه بالأزياء التى تتغير موسميا . فهناك مالاحصر له من الاتجاهات التى تعد خروجا صارخا على التقاليد الفنية القائمة ، وهى اذ تلاقى تشجيعا من طوائف المهيمنين على الحركات الفنية فى أوربا وأمريكا وتمويلها لاستمرارها نجد نظائرها فى اسرائيل غريبة عن محيطها حيث يحول تعسر الظروف الاقتصادية بها دون الانفاق بسخاء على مثل هذه المهاترات التى تكلف مزيدا من المال ولاتجد رواجا بين عامة الشعب متوسطى الثقافة ، لاسيما هؤلاء الذين يعملون فى داخل معسكرات الكيبوتزيم .

والحاح اسرائيل فى تشجيع هذا اللون من الفنون ، سواء فى الفنون التشكيلية أو فى الموسيقى أو المسرح ، انما يهدف الى غرض غير «تذوق» الفن عند عامة الشعب بها، فهذه المحاولة تستند الى اتخاذ سائر ألوان هذه الفنون المتطرفة وسيلة للدعاية لتلك الفلسفة الهدامة ، واظهار

هذه الدولة المزعومة كما لو كانت قد أحرزت ـ أسوة بالدول الأوربية سبقا فى ميادين الفنون ، وأنها أيضا على رأس الحركة المتطرفة أو الرائدة فى مجالات الفن التى قد يفطن اليها المجتمع المكون من عامة الشعب بعدئذ . هذا وان كانت تلك المحاولات المتطرفة فى الفنون الأوربية أو الأمريكية تستند الى دراسة محققة وأجواء لها ثقافتها وتجاربها ، كما تستند أيضا الى جمهور ولو أنه ضئيل نسبيا فهو جمهور مكون من نخبة المفكرين والنقاد وأصحاب الفكر المتطور ـ ان كانت هذه الاتجاهات المتطرفة مستساغة فى مختلف البلدان الأوربية أو الأمريكية فهى عديمة الجذور ، ولاتستند الى أى وسط فكرى حقيقى فى اسرائيل .

ويبدو أن اقامة مثل هذه المزاعم الفنية المتطرفة انما وجدت لا لسبب سوى التمويه والايحاء بأن ذلك الوطن المدعى ، له أيضا رأى فى الحركات الفنية المستقبلة فى حين تجانب الحقيقة هذا الادعاء المزعوم الذى لايستند الا الى تقليد وتمويه لبعض ماينقل عن الغرب من بدع لايرجى منها أى تطور أو استمرار ، لتعذر وجود الوسط الفنى الحقيقى الذى يزود تلك الاتجاهات الفنية المتطرفة فى أوربا وأمريكا بما لاحصر له من الدوافع والأفكار المستحدثة ، بل يساعد على صياغة وتكييف تلك الطفرات بلوازم المجتمع الحديث ، فنرى مثل هذه المستحدثات الغريبة فى الغرب سرعان ماترتبط بصناعات وأسواق .

اذ يجعلون من البدعة الفنية سلعة مرموقة لها جمهورها من الذواقة ، أما البدع الاسرائيلية فلاهدف لها سوى الادعاء كما سبق القول ، والتظاهر بالمعرفة والسبق الفنى وبطبيعة الحال قد يبدو غريبا أن مثل هذه الأكاذيب الفنية التى تتضح فى ناحيـة من الدعاية الصهيونية يقابلها فى الناحية الأخرى من هذه الدعاية لون من الفنون التقليدية والجامدة التى يعيش فيهـا الفنان فى ظروف المزارع الجماعيـة ، ويتقيد بعقليـات أهلهـا ، تلك العقليـات السطحية التى لايرجى ارتقاؤها لتذوق الفنون المتطرفة التى سبقت الاشارة اليها . ويبدو أن هذا اللون من الفنون هو الآخر على الرغم من ظاهرة ـ لا يهدف الى خلق نوع من الفن يخدم الجماعة التى ينشأ فيها : لايخدمها من حيث رفع مستواها فى التذوق الفنى ـ فى حين يبدو لأول وهلة خادما للظروف التى توجدها الحياة بالمسكرات الجماعية فهو لايهدف فى حقيقة أمـره الى خلق فن تتـذوقه تلك الجماهير ، وانما يعد هذا اللون من الفنون وسيلة أيضا للتمويه على الغير ، فهؤلاء الفنانون الذين يعيشون وينتجون بداخل معسكرات الكيبوتزيم لاريب أنهم يتدربون الى جانب انتاجهم الفنى ـ على شتى سبل الارهاب بل قـد يتدربون على طائفة من الصـناعات التى تحقق لهم بعض أهدافهم الخبيثة الهدامة اذا ماانتقلوا الى موطن آخر .

فهذا لون من الفنون وهـؤلاء جماعة من الفنـانين يبدون من ظاهرهم بسطاء فى تعبيرهم الفنى معتدلى الطابع

فى نزعاتهم الفنية ، قد يقبلهم الرجل الشعبى فى أى مكان وهم يخفون وراء هذا الفن ذلك التدريب وتلك المرانةالتى دأبوا عليها أسوة بتلك العصابات الارهابية التى كانت قائمة بفلسطين فى أثناء الاحتلال البريطانى لها ، وهكذا يبدو أن مسألة الفنون الصهيونية انما تخفى خدعة كبرى ولاينتظر أن تحقق مثل هذه المهاترات والخدع أى سبق أو استمرار فى الميادين الفنية لجنوحها نحو احداث غير انسانية واتخاذها من الفن وسيلة للتزييف والتمويه عن نواياها الشريرة .

ومن أهم المشكلات الفنية التى تعانى منها اسرائيل أيضا اليوم ، وسوف تعانى منها مستقبلا : مشكلة الاهتداء الى فن قومى لها . وقبل عرض هذه المشكلة نقول انه من اليسير الوصول الى تفاصيلها بمجرد الاطلاع على دراسة مايكتب فى المجلات الأجنبية عن المعارض التى تقام بالخارج ومايقال عن الفنانين الصهيونيين وأعمالهم وماينشر فى مجال النقد الفنى والتأليف فى هذا المجال لكتاب يعطفون على الصهيونية أو ينتمون اليها . فبمجرد تعقب هذه الآراء والأفكار مدة كافية من الزمن يتسنى استنباط جوانب ، بل ثغرات تحرص اسرائيل أشد الحرص على اخفائها والتمويه على حقيقتها .

والمشكلة الفنية التى نعرضها فيما يلى هى احدى تلك الثغرات الأليمة التى حيرت أهل الفن من

الصهيونيين فى الوقوف على حل لها ، فبالرجوع الى تاريخ فلسطين التى تزعم الصهيونية أحقيتها فيها نجد أن سائر المؤلفات التى كتبت عن منطقة الشرق الأوسط ، منـذ القرن الثامن عشر حتى بداية القرن الحالى ، تظهر الطابع المميز لفلسطين ، ولاسيما فنونها الشعبية ، كجزء لايفترق عن الفنون العربية جميعها بهذه المنطقة ، بل لا يفترق على الاطلاق عن الفنـون الشعبية فى العراق وسوريا والأردن ومصر وسائر البلاد العربية بشمالى افريقية :فهذا الطابع الشعبى فى الفن ليس زعما ، وانما هو مسجل فى عشرات من المؤلفات القديمة التي صورته زيادة فى تأكيد خصائصه وهذا الطابع الذى تأصل فى منطقة فلسـطين قد أخفقت الصهيونية برغم جهودها المضنية فى القضاء عليه ومحوه ، فاذ كان قد تسنى لها اقصاء العرب عن موطنهم بهـذه البلاد ، واتخاذ جميع الأساليب لابادتهم ، فقد أخفقت ـ كما قلت ـ فى القضاء على فنونهم الشعبية التى اتسمت بها فلسطين منذ عهود غابرة ، واستمر الفلسـطينيون ـ ويهود فلسطين أيضا ـ يعبرون عنها حتى قيام دولة اسرائيل المزعومة .

وقد بدا للمخططين الاستعماريين فى اسرائيل ضرورة تنحية فلسطين عن سمات الفن العربى وذلك حتى تتضح الفوارق جلية بين الذين يزعمون السـيادة الجـديدة وضحاياهم العرب ، اذ يتحتم وفقا لهذا التفكير أن يتميز الصهيونى فى مظهره وفنه وطابعه وذوقه عن جميع ماأخذه

عن العرب ، وتربى فى غضونه ، وجاء تحـــذير التطبع بالفنون العربية يسيرا على اليهود المهاجرين من بلاد أوربية عاشوا فيها أجيالا ثم نزحوا الى موطن جديد لايمت لهم بصلة ، ولايرتبط تراثه بهم بأى رباط ..

ولكن ما السبيل الى «صهينة» المواطنين الاصليين من اليهود الذين تطبعوا بالذوق العربى وأصبح عسيرا أن يتخلوا عنـــه ؟ طبيعى حينئذ أن تنشـــأ اختلافات بـين المستوطنين الجـــدد الذين يعـدون أنفسهم أكثر ادراكا واستجابة للمبادىء الصهيونية ، ولاسيما فى ناحية الفنون التى تعرض مشكلتها . وهنا يجب علينا أن نعرج قليلا لفهم الأسس التى استندت اليها الفنون اليهودية فى أوربا فالفنانون اليهود الذين نشئوا فى أوربا أخذوا عن المواطن التى عاشوا فيها طابعها الفنى ، بما فى ذلك فنونهاالشعبية فتعذر تفرقة أسلوبهم عن غيرهم من مواطنى كل بلد فى الناحية الفنية .

ومنذ أن نشأت فكرة الصهيونية فى أواخـــر القرن الماضى حاول بعض الفنانين اليهود فى أوربا الانفراد بطابع يميزهم عن فنـــون المواطن التى نشئوا فيها ، بل حاولوا ابتداع فن صـــهيونى الطابع يختلف عن مـــدارس الفن الأخـــرى ، ولقد اضـــطرهم هـــذا الزعم الى التخلى عن مقومات كثيرة وعلى رأسها الفنـــون الشعبية للبلاد التى عاشوا فيها ، فقد يستفيد الفنان منهم بالمذاهب الفنيـــة

الحديثة التى تنشأ فى أوربا ، ولكنه يحاول فى فنه اغفال الطابع المحلى الذى يجعل الفن الفرنسى فرنسيا والايطالى ايطاليا . وسواء ظل هذا الفريق من الفنانين الصهيونيين مقيما فى أوربا أو هاجر الى اسرائيل — فسمات فنه لايمكن أن ترتبط بفن شعبى أو محلى .

والمشكلة قد تبدو يسيرة اذا توقفت عند هذا الحد، ولكن خطورتها تتكشف عند النظر الى مشكلات الأجيال القادمة ، فأجيال الفنانين الذين تشربوا الفن الأوربى أو حاولوا الحياد عنه قليلا أمرهم هين اذ أن انتاجهم يستمر غالبا على النحو نفسه الذى ألفوه ، أما الذين جمدوا على بقايا الفنون العربية فيمكن عن طريق الدعاية تنحيتهم عنها وتشجيعهم على مسايرة أساليب الفن المنقولة عن الغرب ، وأما الأجيال الجديدة وهى حجر العثرة فى مشكلة الفن ، فليس لديها تقاليد فنية تستند اليها . ومن الطبيعى أن تتجه فنون الصغار فى أى بلد الى الفنون الشعبية ، ولكن الرعب من أن تتفشى المسحة العربية فى انتاج الصغار جعل تعليم الفن فى اسرائيل لايترك للصغار حرية التعبير خشية تعريبهم ، ولذلك لجأت أساليب تعليم الفن الى فرض قيود على المدارس والاستناد الى طرق جامدة تخلت عنها أوربا منذ زمن طويل ، فى حين يحاط الناشىء بهذه المناهج الفنية التى لاتكفل له سوى المرانة التى توصله الى كسب حذق يدوى دون التعرف على تراث يرتكن عليه ، ولذلك نرى المناهج تعوضه عن هذا النقص

بتقديم صنوف الفنون التى أنتجها يهود أوربا بين القرنين الماضي والحاضر ، لتكون قدوة للصغار أو بالأحرى بمثابة طرز يمكن التمثل بها والسير على نهجها .

فالنابغون من النشء يقلدون تلك النزعات المتفرقة الطابع المنعدمة الطراز ، والتى نشأت فى أوربا على نحو مدرسة باريس أو غيرها ، والتى لايرجى لمشايعيهاالوصول مهما بلغوا من قدرات الى أى فن ذى قيمة حقيقية .

وهكذا تدور الفنون الصهيونية في دائرة تلك الفلسفة الاستعمارية التى قامت عليها مبادئها السياسية فطغت على فنونها ، ولاينتظر أن تجد لها مخرجا ينقذ الأجيال القادمة من الاخفاق الفنى المحقق الذى ينتظرها .

ان ابادة عرب فلسطين يقترن ـ سواء أرادت اسرائيل أم لم ترد ـ بابادة القدرات الفنية ليهود هذه المنطقة .

ولو أحيطت الأجيال الناشئة فى اسرائيل بأحسن وأحدث الوسائل الفنية وأكثرها تشويقا ، فانه لا يمكن خلق تراث صهيونى منعدم الوجود ، فالتراث الذى سيظل معلقا مثل ساعة القدر على رءوس الأجيال القادمة هو التراث العربى والفن الشعبى العربى لهذه المنطقة الذى بدونه تبوء جميع المحاولات الفنية بالاخفاق المحقق .

ولو تعقب قارىء المجلات الفنية الأوربية ولا سيما تلك التى تنشر أخبار الصفقات التى تتم أسبوعيا بشأن

بيع التحف الثمينة ؛ كلوحات قادة الفن الايطالى فى عصر النهضة أو أئمة الفنون الأوربية فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر أو التاسع عشر — لو تعقب القارىء أنباء تلك الصفقات فترة خمس سنوات أو أكثر لتبين حقيقة لا جدال فيها ، وهى أن الذين يمتلكون أكبر البيوتات لتجارة التحف الفنية فى أوربا وأمريكا هم يهود . وأن أفرع مراكزهم التى تجرى الصفقات الفنية الضخمة قائمة فى مختلف العواصم الأوربية والأمريكية غير أنه لاوجود لها فى اسرائيل . فليس فى أى نشرة مايشير الى أن فى تل أبيب فرعا لمتاجر التحف الفنية النادرة التى يمتلكها كبار التجار من يهود أوربا .

ثم يتضح أيضا لقارىء المجلات الفنية الأوربية أن اكبر هواة جمع التحف الفنية فى القارتين الأوربية والأمريكية هم يهود أيضا ، اذ لاتقدر ثرواتهم فى تلك التحف الفنية بمال ؛ لما بلغته من أهمية وضخامة .

والحقيقة الثالثة التى يتسنى أيضا استنباطها من الاطلاع على ما يحدث فى الأسواق الفنية هى أن يهود أوربا وأمريكا ممن جمعوا ثروات فنية طائلة ، واعتبرت مجموعاتهم ومقتنياتهم فى مرتبة عالمية لم يتبرع أحدهم لاقامة متحف فنى فى اسرائيل يجمع أعمال أمثال دافنشى وروفائيل أو رمبراندت أو روبنز وغيرهم من مشاهير المصورين ، بل لم يتبرع أحدهم ولو بجزء من مقتنياته لتصبح بمثابة نواة فنية فى الوطن الصهيونى المزعوم .

وهناك استنباط آخير يتسنى الوصول اليـه وهو أن حكومة اسرائيل لم تقدم منذ نشأتها على شراء التحف الفنية النادرة التى تتداول فى أسواق أوربا ..

ومن جملة هذه الاستنتاجات نتوصل الى سبب الحظر المفروض فى اسرائيل على اقتناء التحف النفيسة الثمينة أو حتى جلبها لاسرائيل عن طريق التبرع ، لغرض ايداعها فى المتاحف الفنية . ولكى نقف على حقيقة هذه المشكلة نستعيد فى لمحة قصيرة الأساليب التى اتبعت منذ القرن السادس عشر فى اكتناز المال وادخاره عن طريق اقتناء أمثال هـذه التحف الثمينة ، فنقول ان أهل الجاه من اليهود كانوا يدخرون أموالا طائلة فى تلك المقتنيات الفنية التى كانت ــ بصرف النظر عن تزيينها للقصور ــ رءوس أموال تتحـرك من بلد الى آخر كالزئبق ، متى شـعر صاحبها بخطر قيام حرب أو نشوب ثورة ، أو انتشار الفتن فى البلاد ، فتتحرك من القصور ، وتوضع فى مخابىء أو ترحل الى مواطن أخرى كان يتعهدها جماعة من مزيفى التحف الفنية الذين برعوا فى فن تزييف صنوف التحف كافة واكسابها مظهرا مخالفا لحقيقتها .

ولقد بلغت براعة المزيفين حدا جعل عددا كبيرا من التحف القديمة يظل مجهول المصدر مموها عن حقيقته حتى أيامنا هذه ، حيث يكتشفه التجار عن طريق المصادفة بين حين وآخر .. !

ولقد استمرت حرفة تزييف التحف الفنية تتوارثها فئات من الصناع المهرة طوال القرون الماضية حتى وقتنا الحاضر ، حيث كانت تتعهد تهريب التحف فى أوربا ـ كلما ظهرت بوادر قيام حرب أو غير ذلك من أزمات ـ فرق تهريب التحف ومرممى الصور والنقاشين والنجارين والصياغ ..

ولقد شهدت أوربا خلال الحربين العالميتين فى القرن الحالى عددا لاحصر له من ألاعيب تهريب تحف كبار رجال المال ، ولاسيما اليهود منهم . ونحن جميعا نذكر مافعله الذين رحلوا عن مصر بعد العدوان الثلاثى .. وبخاصة الذين يعطفون على القضية الصهيونية ، وما اتبعوه فى محاولة تهريب التحف عبر الحدود المصرية ، برغم أن هذه التحف كانت أقل قيمة بكثير من تلك التى نتحدث عنها .

نعود بعد هذه اللمحة الخاصة بأساليب ادخار التحف الفنية وتهريبها ، فنقول إن اسرائيل تخشى أن تدخر رءوس الأموال الخاصة بها فى مثل هذه التحف النفيسة ، فمتى فتح باب استثمار المال فيها أصبح من المؤكد أن يهرب يهود اسرائيل تحفهم الفنية النفيسة الى خارجها معتمدين على أساليب التمويه نفسها فى دس المقتنيات فى المفروشات أو طلائها بما يوحى بأنها حديثة الصنع ، أو غير ذلك من بدع برعوا فيها وتفننوا ، فمهما احتاطت السلطات فان خطر تهريب الأموال خارج اسرائيل

يظل قائما ، بل مشجعا كل من تراوده نفســــه • ثم ان اسرائيل تخشى من جهة أخـــرى خطر العرب عليها ، فهى لاتطمئن الى ادخار كنوز حقيقية سواء فى متاحفها أو عند الخاصـة من أفرادها . ومن جهة ثالثة ترغب اسرائيل على الدوام فى التظاهر بالفقر لتثير عطف الغـير عليها ، ومن دلائل هذا الفقر (المزعوم) عدم اكتناز تحف ثمينة تعد فى ذاتها ثروات طائلة ، ولذلك ترى فى دخـول مثل هـذه التحف الى أراضيها ، والاعـلام عن اقتنائها من العوامل المقللة لذلك الدخل المادى والاعانات التى تجلبها من أعوانها فى الخارج .

وليس بغريب بعد ذلك أن تتجنب أهم متاجر التحف الفنيـــة الأوربية فتح أفرع لها فى اسرائيل ، وأن تقتصر الاعانات على الجانب المادى لا الفنى . وليس بغريب أن يحظر على رجال المال والأعمال فى اسرائيل تجميد ثرواتهم فى تحف نفيسة ، دون استثمار تلك المدخرات فى مشروعات تجلب لهم الربح السريع ، كما تخشى الحكومة الاسرائيلية هجرتهم الى خارج البلاد وتهريب أموالهم معهم . وبالأخص لدرايتها بمبلغ الحذق والمهارة الفائقة التى توصل اليهـا مزيفو التحف الفنية فى التمويه والخــداع على النحـو الذى اتبعوه ــ ومازالوا يتبعونه ــ فالرغبة فى اكتناز المال وتهريبه تفوق فى اسرائيل تلك الوطنية المزعومة والعـزم على الاستقرار فى فلسطين .

انعدام الفن القومي في إسرائيل

● وقد نشرت مجلة الفنون ـ وهى احدى المجلات الكبرى التى تصدر فى فرنسا ـ بعددها رقم ٩٢٧ بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٩٦٣ مقالا بامضاء الكاتب بييرزيستانى بمناسبة انعقاد المؤتمر الثـامن للنقـد بتل أبيب فى شهر يوليه من السنة نفسها ، بعنوان مازالت اسرائيـل بدون فن يهودى ..

وقد استهل الكاتب مقاله قائلا : مازالت اسرائيل بعد مرور خمسة عشر عاما من قيامها سـنة ١٩٤٨ بؤرة تناقض وتباين ، فالاحساس العام الذى تعكسه للزائر هو العزم والاندفاع ، غير أن الحماسة التى نلمسها فيها اليوم أكثر اتزانا ووعيا بسبل تحقيق نجاحها ، فالهدف بالنسبة الى كافة وجهات النظر بها ، أو ماتسعى اليه فى شـتى

VIIIe CONGRÈS DES CRITIQUES D'ART À TEL AVIV

Israël n'a pas encore son art juif

QUINZE ans après la « guerre d'indépendance » de 1948, l'Etat d'Israël demeure un nid de paradoxes et de contrastes. L'impression générale est celle de l'europe et du dynamisme. Mais l'enthousiasme, aujourd'hui, apparaît plus raisonné, plus soucieux d'efficience. A tous les points de vue et dans tous les domaines. Il s'agit non plus de vaincre, mais de durer.

Le VIIIe Congrès International des critiques d'art s'est tenu en Israël, au mois de juillet dernier : remarquablement organisé par le Dr Haim Gamzu, il a permis à une cinquantaine de spécialistes du monde entier de prendre réellement contact avec la réalité de l'art israélien d'aujourd'hui.

Mais, d'abord, y a-t-il un art israélien ? Le premier contact avec les artistes locaux est un peu décevant : ils sont tous d'accord avec le visiteur étranger pour louer et admirer la nature et le paysage bibliques, la plaine de Galilée, les collines de Judée, les rives de la mer Morte ou le désert du Néguev. Mais cet impact extraordinaire du terrain, cette permanence unique du cadre naturel, cette Terre Promise en un mot ne se reflète guère dans leurs œuvres.

Les artistes de Tel Aviv travaillent comme ils pourraient le faire s'ils avaient émigré à Paris ou à New York, et pour certains même comme ils le feraient s'ils étaient restés dans leur ghetto de Pologne ou leur village de Russie. Les diverses expositions individuelles ou collectives qu'il m'a été donné de voir durant mon séjour en Israël reflètent bien cette situation. Pour un critique d'art parisien, la première impression est celle du déjà-vu. Les peintres israéliens pratiquent une peinture intelligente et actuelle, trop intelligente et trop actuelle peut-être, car elle en devient anonyme. Les plus doués d'entre eux, les plus lucides et les plus clairvoyants en ont conscience. Lors d'une interview avec M. Katz, directeur du Musée Bezalel de Jérusalem, Ardon, Prix national 1963 de peinture, déclarait : « Si les pommes de Cézanne sont « françaises », c'est qu'il

Mais le problème se repose au niveau de la jeune génération. Si Israël est isolé, enclavé, géographiquement et politiquement, il n'en va pas de même sur le plan culturel. L'artiste israélien d'aujourd'hui dispose d'une information culturelle remarquable, bien supérieure à celle de nombreux pays d'Occident. Mais à cause précisément de ces liens, il subit l'entière fascination de l'Occident, à travers les écoles de Paris et de New York. La plupart des jeunes artistes israéliens sont venus étudier dans l'une ou l'autre de ces deux métropoles, parfois dans les deux.



Marjan, juif polonais, est un artiste complètement intégré à l'Ecole de Paris mais pourtant il a su demeurer fidèle à la continuité ancestrale d'un mythe. Les artistes d'Israël subissent la tentation de l'Occident : s'il n'y a pas d'art juif à Tel Aviv, il y en a peut-être un à Paris ou à New York.

À l'inverse de l'orthodoxie catholique, qui impose des dogmes, le judaïsme tend, en dépit de certaines réactions ritualistes, à libérer l'imagination individuelle. Un commentaire n'est pas une loi (même s'il a force de loi), encore moins le répertoire d'un langage commun.

Plus que sur le plan morphologique, c'est sur le plan spirituel qu'un renouveau de la relance juive en Israël peut être déterminant.

L'enjeu majeur d'Israël, sa raison d'être et la condition de sa survie sont, en effet, l'occupation du terrain. Il

prof. Neumann), sont animés de cet esprit pratique et leurs réalisations s'inspirent de cette volonté d'intégration entre les volumes architecturaux et le terrain. Le nouveau Musée d'Israël à Jérusalem est en quelque sorte le symbole de cette préoccupation essentielle. De nombreuses réalisations locales vont plus loin encore en ce sens.

Certains sculpteurs, qui travaillent souvent en collaboration avec les architectes, se sont attachés à traiter le problème de l'occupation du terrain. Tumarkin, bien connu à Paris, vient de mettre au point plusieurs projets de sculptures monumentales étroitement liées au contexte naturel, et déterminées par lui : un « plan d'occupation » d'une colline dans le Néguev, une « tour-signal-phare » sur la mer à Haïfa.

Dans une exposition, « Horizons Nouveaux », organisée au Kibboutz d'Ein Harod à l'occasion du Congrès des critiques d'art, la sculpture dominait un ensemble de haute qualité (auquel participaient les meilleurs peintres contemporains d'Israël : de Zaritsky à Kahanna, de Stematsky à Streichman).

Cet effort de réalisme tangible, d'intégration et d'action sur la nature, que l'on sent s'exprimer là, constitue la plus émouvante manifestation d'espoir, la préfiguration d'un art israélien de demain.

Pierre RESTANY

La mort de Paul Herbé

PAUL HERBÉ est mort. Je voudrais, non seulement comme ami, mais au nom de mes camarades sculpteurs, dire combien cette perte nous est douloureuse et combien Paul Herbé l'architecte, l'animateur, l'ami, nous manquera dans les années à venir. Tous ceux qui ont travaillé avec lui lui devront l'essentiel de leur compréhension de l'architecture, lui devront la leçon d'une grande humilité qui savait

شكل (٢) صورة لنص مقال « بيير رستاني » عن الفن الصهيوني .

الميادين ، لم يعد قائما على الرغبة فى تحقيق نصر ، بل أصبح يتركز فى تهيئة سبل الاستقرار .

لقد انعقد المؤتمر الثامن للنقد الفنى باسرائيل فى شهر يوليه الماضى ، وقد نظمه بنجاح فائق الدكتور / حايم جامزو ، وهذا المؤتمر قد هيأ لحوالى خمسين خبيرا وافدين من شتى أقطار العالم سبيل التعرف عن كثب على الحركة الفنية الحالية باسرائيل .

وهنا نتساءل : هل هناك فن صهيونى حقا ؟ والجواب عن هذا قد يأتى مغايرا لما نتوقعه ، اذ ان الشعور الذى يحسه الزائر من اختلاطه لأول وهلة بفنانى اسرائيل انما هو شعور بالخيبة ، فبالرغم من اتفاق هؤلاء الفنانين وزوارهم فى هذا المؤتمر على محاسن الطبيعة التى أحاطت بأحداث التوراة ، كوادى المجدل وشواطىء البحر الميت وصحراء النقب ــ بالرغم من مظاهر هذه الطبيعة العجيبة وهذه الأرض الموعودة فان جميع هذا لاينعكس فى أعمال فنانى اسرائيل الذين ينتجون كما لو كانوا قد هاجروا الى باريس أو نيويورك ، فى حين تظل أعمال بعضهم محتفظة بطابعها كما لو ظلوا مقيمين فى قراهم ببولندا أو روسيا .

وأضاف الكاتب قائلا فى مقاله : ولقد لمست هذه المشكلة بجلاء فى كافة المعارض الخاصة والجماعية التى أتيحت لى فرصة زيارتها فى أثناء اقامتى باسرائيل ، فالاحساس الذى أحسسته من تلك الأعمال فى مجموعها

ـ ولاسيما بالنسبة لى كناقد فنى جاء من باريس ـ انها أعمال شوهدت قبل ذلك ، أى أن أساليبها منقولة عن الغير ، وتفتقر الى جدة وأصـــالة . ان فن التصـــوير فى اسرائيل يبين لنا ذكاء هؤلاء الفنـــانين وجنوحهم نحـــو الواقعية ، ولكن هذا الذكاء والواقعية مغالى فيهما ، اذ ينتهيان فى آخر الأمر بفقدان الفنـــان طابعه الشخصى كلية ليصبحا مجرد تظاهر واستعراض للحذق والمهارة تنعدم وراءهما الفرديات .

ولقـــد أحس بقيام هذه المشكلة أكثر هؤلاء الفنانين وعيا وتبصرا ، وقد صرح الفنان مانيه كاتز مدير متحف بيزالل بالقدس والحائز على الجائزة الأهلية للتصوير فى اسرائيل سنة ١٩٦٣ بأن نجاح الفنان الفرنسى سيزان فى التعبير عن الروح الفرنسية ، حتى فى لوحاته التى صور فيها بعض فاكهة التفاح ، انما يرجع الى اهتدائه الى نوع من النظام والترتيب بعيدين عن صميم الذوق الفرنسى ، بل الروح الفرنسية نفسها ، وهذا الاهتداء هو مايحتاج اليه الفنان فى اسرائيل اذ هو أيضـــا فى مسيس الحاجة الى الاهتداء الى ذلك الطابع أو النظـــام الذى يعبر عن الروح الاسرائيلية .

ولاريب أن مثل هذه التصريحات الصـــــادرة من شخصية فنية وقفت حياتها لتدريس الفن فى اسرائيل لها دلالتها ولاريب فى أن اخفـــاق الفنون فى اسرائيل الى

الاهتداء الى طابع قومي ليست مشـــكلة أجيال قائمة من الفنانين فى ذلك البلد ، لأن الجيل القائم من الفنانين هناك مازال عهدهم بفلسطين حديثا ، الامر الذى يحملهم على الارتداد أو التمسك بأساليبهم الفنية التى توصلوا اليها فى مواطنهم الاوربية المختلفة . ويبدو أن المشكلة تقع على عاتق الجيل الناشيء من الفنانين هناك ، فعلى الرغم من عزلة اسرائيل الجغرافية والسياسية فليست عزلتها هــذه قائمة فى المجال الثقافى ، لأن الفنان يمتاز فى اسرائيل بسعة اطلاعه التي قد تجاوز المستوى الثقافى لفنـــانى كثير من الدول الأوربية .

ولعل شدة ارتباط الفنان الصــهيونى فى اسرائيل بباريس أو نيويورك ، لشعوره بعطف تلك العواصم عليه يجعله مرتبطا بها فى استلهامه فنونها ، ولا غرابة فى أن نجد لفيفا منهم قد درسوا فى احدى العاصمتين أو فى الاثنتين معا ، ثم عادوا الى موطنهم ، غير أنهم يفتقرون الىالاهتداء الى أسلوب فنى مبتكر .

وقد ينتهى الناقد الفنى الى استنتاج يبدو متناقضا للغاية اذ يتساءل عما اذا كان بعض فنانى باريس من اليهود ليسوا فى حقيقة الأمر أكثر يهودية من زملائهم بتل أبيب أو بحيفا ، وأذكر فى هذا الســـبيل أمثال الفنانين هابر ، تامير ، جهوله .داجان ، بيلا بريزيل ، ماير لازار ، ماريان وجميعهم يعيشون بعيدا عن تل أبيب وحياتها اليومية ،

وانما نراهم يطورون بيسر أسلوبهم الفنى فيتجهون بـه نحو الأساطير الدينية الواردة بالتوراة ، أو يتجهون الى نواح ثقافية أو انفعالية أكثر نجاحا من الذين يقيمون فى اسرائيل نفسها .

غير أن الزائر قد يتساءل عما اذا كان مستقبل الفن فى اسرائيل يكون فى توفيقها الى طابع دينى ، ولكن يتعذر الوصول الى مثل هذا الاستنتاج اذا اتخذنا هذا الحكم قياسا على ماهو جار حاليا فى الانتاج الفنى بتل أبيب ، وعلى كل فالتقيد بموضوعات التوراة لايخـرج عن كونه مسألة فردية ، اذ أن العبرية تعطى الفنان نوعا من الحرية فى التعبير أكثر من الكاثوليكية التى تقيده بمظاهر بعض طقوس يتحتم توخيها . ويبـدو أن اتجـاه الفنون فى اسرائيل الى الناحية الدينية قد يقوم اذا نجح على العناية بمظهر الاشكال المصورة أكثر من مطابقتها للنص الدينى .

ان أهم المشكلات التى تشغل الأذهان فى اسرائيـل تقوم على اثبات وجودها ، وتستند ظروف بقائها الى فكرة احتلال الأرض التى تقيم عليها وصهينتها والقضـاء على التفكير والنفوذ والمثاليات العربية المتغلغلة بها حاليا .

والآن حيث تتضافر جهود اسرائيل لتحويل سمات هذه الطبيعة الى أرض موعودة ، فلم يتبق أمام أهلها سوى تحقيق النجاح نفسه فى مجال الفنون ، ليعكس مـدى ما حققته الطبيعة اليهودية الجديثة . ويبدو أن النحـاتين

والمعماريين هناك قد وفقوا فى هذا المجال أكثر من زملائهم المصورين ، فان مانراه هو تضـــافر جهـود لفيف من المهندسين فى عمل مشترك تحت اشراف أمثال شارون أو نيومان ، ويسيطر عليهم جميعا الذوق أو الطابع المرتبط بالجانب النفعى . ويعتبر متحف الفنون بالقدس نموذجا لهذا النهج الجديد فى التفكير . ولقد دلت المعارض التى أقيمت بمناسبة انعقاد مؤتمر نقاد الفن بتل أبيب على أن لفيفا من النحاتين توصلوا الى تصـــميم نماذج لمشروعات مزمع اقامتها اما على تلال النقب أو على ساحل البحر فى حيفا تمثل احتلال أرض فلسطين .

ولعل هذه الجهود التى تبين عزم الفنان فى أسرائيل توضح ـ على الرغم من عدم تكاملها ـ الأمل فى تحقيق فن صهيونى مستقل .

هـذا ماكتبه الكاتب بيير ريســـتانى الذى حضر المؤتمر .

والعجيب أن المشكلات التى لمسها هذا الناقد ـ برغم تحيزه السافر للقضية الصهيونية ـ قد وردت فى مقالين لنا نشرا فى مجلة الثقافة قبل نشر مقال الناقد الفـرنسى بأسبوعين ، الأول نشر فى العـدد الســادس من الثقافة بتاريخ ٦٣/٨/٢٧ تحت عنوان «لا فن قومى فى اسرائيل» ، والثانى نشر فى المجلة نفسها فى عددها الســابع الصادر فى ١٩٦٣/٩/٣ تحت عنوان «النضــال الطـائفى فى الفن

الصهيونى» . وقد يدهش القارىء لهذا التطابق ، فبينما يحاول الناقد الفرنسى تسويغ أسباب الاخفـاق ومواطن الضعف فى نواحى الفنون الصـهيونية ويساندها بآمـال واهية ، نرانا نعرض على القارىء المصرى الحقيقة مجردة من المزاعم الكاذبة وماتحلم به اسرائيل من أحلام لا أمل فى تحقيقها .

والذى نهدف اليه من عرضـنا لمقال الناقد الفرنسى ليس اظهار السبق الصحفى الذى أحرزته مقالات الثقافة، بقدر مانهدف الى بيان أن هناك أساليب من القـراءات واستيفاء طائفة من المعلومات الدقيقة الخاصة بتخطيط النواحى الثقافية والفنية فى البلاد الاخرى ، ولاسـيما العـدوة منها ، بل انه يتسنى لنا الوصـول عن طريق استنباط المعانى المختبئة وراء السـطور وكشف الثغرات فى الميادين التى تقدم ذكرها بمجرد الاطلاع على مجـلات تنشر فى أوربا وأمريكا ، فمع أن هذه المجلات تهدف الى الاشادة بما تحققه اسرائيل فى مجالات الفنون والثقافة فانها تحـوى فى ثناياها معانى تبصرنا بمواطن الضـعف والاخفاق فيها . ويتسـنى لنا كذلك الوصول عن طـريق هذه القراءات الى التعرف بوجـه التحـديد على تلك المشكلات دون الحاجة الى الذهاب الى تل أبيب أو غيرها أو الاستماع الى اذاعاتهـا أو اسـتيفاء تلك المعلومات من شهود عيان . ومما حملنا على نشر هـذا المقال الفرنسى أيضا ، الرد على الذين يرون أنه لاضرورة لنشر أبحاث

عن الفن والسياسة ، وأن الذوق العام فى مسيس الحاجة الى من يحدثه عن روائع الفن الأوربى مجردا عن السياسة . ولهؤلاء نقول ان المقال الفرنسى أوضح لنا أن ثمة مؤتمرات للنقد الفنى أقيمت فى تل أبيب لتأكيد ودعم الجانب القومى فى الفن الصهيونى ، وأن أقطاب الفن فى اسرائيل حين يتحدثون عن الفنون العالمية فى أوربا انما يؤكدون جذورها القومية ، بينما يؤكد لنا مقال الناقد الفرنسى عزم اسرائيل على محو كل أثر عربى بفلسطين ، ويبدو أن حديثنا عن الفنون العالمية البعيدة عن القومية ونشرنا أبحاثا عن المجال المطلق وروائع الفن الاوربى ، وانسياقنا وتعطش بعضنا الى اللاقومية فى الفن ، انما يعد وزرا بل انكارا وتجاهلا لذلك الخطر المحقق الذى يظهر أمام أعيننا ، فاسرائيل لن تضيع وقتها فى غير الفنون الهادفة .

ان شباب جمهورية مصر العربية من الفنانين متعطش الى الاستزادة ومناقشة النواحى الفنية المرتبطة بقوميته ، فهو اذ نجح فى تحقيق فن قومى يبغى مؤازرة النقد الفنى الهادف فى اتجاهه هذا ، ولديه من غزارة المادة فى هذا الجانب ماتضيق عنه صفحات هذا الكتاب .

وقد نشرت مجلة الفنون بعددها رقم ٩٢٨ الصادر فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٣ ، بعد ما أوردناه من آراء أجنبية عن الفن الصهيونى ، مقالا للفنان يعكوف أجاما

ردا على مقال بيير رستانى نشر فى المجلة نفسها ، وهاجم فيه هذا الناقد الأخير الفن الصهيونى الحديث ووصفه بانعدام الطابع القومى فيه ، ويحاول يعكوف فى المقال الذى كتبه الاشارة الى جوانب الاخفاق التى لمسها الناقد فى الفنون الصهيونية ، والاشادة بالجهود التى تبذل فى اسرائيل على أيدى الفنانين الطلائع . والمقال يهدف الى تخطئة الرأى القائل بأن ليس فى اسرائيل فن قومى .

والكاتب يتلمس الأعذار ، ويحاول دعم رأيه بأسانيديبرهن بها ــ بكونهفنانا صهيونيا ــ على أن رستانى لم يتوخ الدقة فى حكمه على كافة ألوان النشاط الفنى فى اسرائيل ويتهمه بأنه قد تأثر بنص ورد بالتوراة يحرم نحت أو تصوير المخلوقات فى الحجر أو بالرسم ، وأنه ربما كان يتوقع مشاهدة فن صهيونى يصور الشخصيات اليهودية القديمة ذات اللحى الطويلة والملبس المتميز ؛ الأمر الذى تعذر الاهتداء اليه فىالفن الصهيونى الحديث، مما جعله ينفى قيام فن قومى فى اسرائيل .

ثم يقول ان الفنانين الذين اعتادوا ــ وهم فى خارج اسرائيل ــ تصوير مثل هذه الشخصيات الاسرائيلية ذات الطابع القديم يتجنبون تصويرها على هذا النحو الآن . ويضيف أن الفنان شاجال الذى طالما صور شخصيات يهودية يعتبر فى صميم فنه بعيدا عن الطابع اليهودى الصميم .

ويدافع الكاتب الصهيونى عن التيارات الفنية الحديثة فى اسرائيل قائلا انها منبعثة من تيارات متدفقة نشأت بعد عودة هؤلاء الفنانين الى أرض وطنهم الأصلى، ومع أنه يتعذر القول بأن تلك التيارات قد تبلورت واتخذت شكلا ايجابيا واضحا ، فانه يمكن القول بأن سائر فنانى اسرائيل لهم طابع مشترك . ويدعم الفنان الكاتب رايه بأمثلة بعض الفنانين الصهيونيين باسرائيل ممن يتوسم فى أعمالهم النضج والاكتمال ، أمثال سترنجمان وايشالون عكاشى وريشون الزيونى ويوسف زارتزكى وستيحاتبزكى وحليم كيوى .

وفى ختام مقاله يدعى الكاتب فى حرارة أن الأجيال الجديدة فى اسرائيل تتجنب الاستناد أو الاقتباس من الأساليب الفنية التى سلكها روادهم من الأجيال القديمة ، وذلك بغية المعيشة فى مشكلات العالم الحالى ، دون الحاجة الى الارتداد الى أواصر الفن اليهودى فى منابعه القديمة . ثم يصرح الفنان فى آخر مقاله بأن فنا جديدا سوف يتفتح فى اسرائيل عن قريب ، وذلك على أسس جديدة تختلف كلية عما كان قائما فى الفنون الأوربية الأخرى ، وسوف يدهش العالم بجدته .

ان ما نلمسه فى مقال الفنان الصهيونى هو ذلك الشعور بالحرج الذى يشعر به المشتغلون بالفن فى اسرائيل ، الحرج من الاخفاق برغم الجهود التى تبذل

والأموال التى تنفق من أجـل الاهتـداء الى فن قومى ، فبرغم ما يمنى به الفنان نفسه من آمال للتوفيق الى فن صـهيونى ليس بغربى أو شرقى ، أى عربى المصـدر ، وبرغم ما يزعمـه من أن الجهود المتواصلة سـوف تكلل حتما بالنجاح ، فانه لا جدال فى أن المقال يخفى خيبـة أمل مؤكدة ، ولكنه يكشف لنا ــ الى جانب ادعاءات هذا الفنان فى ساعة غضبه ــ عن أن النية متجهة فى اسرائيل الى تجنب ذلك الطابع الدينى الذى لازم الفن الاسرائيلى فترة طويلة من الزمن ، فهنـاك كمـا تبين ومما ورد بالمقال ــ نزعة مؤكدة للتخلى عن مقـومات الفنـون التى التزمت التعبير عن قصص التـوراة وصيغ الشـخصية اليهودية فى طابعها التقليدى .

ان طموح الفنان الصهيونى الجديد يجعله يتطلع الى نوع من الفنـون لا دينية ثم ان هذه الفنـون التى ليست بشرقية ولا بغربية ، والتى يعد الكاتب الناس بها ، انما هى بدعة صبيانية ، فما من فن مهما استحدثت أصوله الا ارتبط بتراث قديم أو بيئة معينـة تشبعت الأجيـال الحديثة بعاداتها وتقاليدها وتاريخها الطويل .

وقد فات الفنـان المتحمس ــ وهو يحـدد أسماء زملاء من يتوسم فيهم التـوفيق ــ أن النقد الموجه للفن الصهيونى والوارد على ألسنة فنانى اسرائيل انفسـهم ، انما يسرد أسماء أفراد اهتدوا الى الرسم بالألوان المائية

أو غيرها ولا يسرد لنا نزعة فنية عامة تتمثل فيها الفلسفة الصهيونية نفسها ، فالجهود الفردية لا تعتبر حركة قائمة بذاتها ولا سيما حركة شعب ينادى بأحقيته فى أرض اغتصبها .

ونضيف هنا الى ما سبق أن أشرنا اليه عن المشكلات الفنية القائمة فى اسرائيل أن من أسباب الاخفاق الفنى القائم هناك مشكلة حظر اقتناء النفيس من التحف الفنية فى اسرائيل وهذا الحظر يزيد من عزلة الفنان الصهيونى عن التراث الفنى العالمى ، الأمر الذى يجعله يدعى أنه يهدف الى فن ليس بشرقى أو غربى ..

الدعاية الصهيونية وخطورتها في مجال الفن

● أذاعت وسائل الدعاية الصهيونية منذ سنوات ومازالت تذيع ، أن اليهود نالوا سبقا ملحوظا وتفوقا لا جدال فيه في ميادين الفنون والآداب وسائر العلوم . وقد اتخذت هذه الدعاية وسيلة فعالة لكسب عطف شعوب العالم والبرهنة على آن هذا الشعب هو شعب الله المختار، وزعموا أن هناك أدلة واضحة على تميز هذا الشعب فيما مضى ، وأنه محتفظ بتميزه وتفوقه على سائر البشر الى اليوم ، لا في ميدان الدين فحسب ، وانما في ميادين العلم والفن كذلك . وأنه ان صادف في بعض الأزمنة والأمكنة اضطهادا فان عزمه على تحمل الاضطهادات ، وجلده ، وتكتله ، تضمن هذه كلها له البقاء . وكانت هذه الدعايات كفيلة باستجلاب عطف الآخرين ، وكانت في

الوقت نفسه من المساعدات القوية لطلب الاحسان والمساعدة • وقد ظلت تلك المزاعم الزائفة فترة طويلة ضمن مبادىء الفلسفة الصهيونية التى تبذل الجهود فى الخفاء لتحقيقها •

ولقد تآزرت جهود الصهيونية منذ بداية القرن الحالى لاحتلال بعض النواحى الهامة فى مجالات الفنون التشكيلية فسيطرت العناصر الصهيونية على أهم دور النشر والمطبوعات الفنية الأوربية والأمريكية ، واحتلت مراكز النقد الفنى، وأخذت تؤلف فى تاريخ الفن ، لتقوم الفنون عامة على أسس تخدم القضية الصهيونية فيما يشبه الأسلوب الفلسفى أو العلمى فى سرد وتفهم الأسس التى قامت عليها الحركات الفنية ، بل ربما حرفت بعض مفاهيم الفن ، وصيغت فيما يشبه الأسلوب المجازى على زعم أنها أسس مستحدثة فى التقويم الفنى • ثم لا يلبث أن يتضح أن هذه المؤلفات تخدم فى باطنها قضية الشعب المختار •

ويمكن أن نذكر فى هذا السبيل المؤرخ ايلى فور الذى بهر القراء بلباقته وأسلوبه الفلسفى الجذاب ، والخادع فى الوقت نفسه ، وقد انساق خلف هذا المؤرخ عدد غير قليل من القراء فى بلدان العالم ، كما دفعت سذاجة بعض الفنانين المصريين الى تحمسهم فى مطالبة الجهات المسئولة بالشروع فى ترجمة مجلدات هذا المؤلف فى تاريخ الفن ، وقد تقرر البدء فى ترجمتها فعلا •

ومن النواحى الأخرى الهامة أن الصهيونيين احتكروا أهم قاعات العرض ، وسيطروا على تجارة الأعمال الفنية ، أيا كان نوعها ، بما فى ذلك أدوات الزينة والمفروشات القديمة والأثرية والتحف الفنية من تصوير أو نحت أو فنون زخرفية ، قديمة كانت أو حديثة . فما يشيد به ناقد أو مؤرخ الفن يرتفع سعره وتروج أسواقه. ثم تلقى طائفة جديدة من الفنون رواجا ملحوظا لأن تجارها يدخرون مقادير موفورة منها ، فيتركز النقد حولها .

فالى جانب الكسب المادى الذى تحققه تلك الصفقات التجارية ذات الصبغة العلمية أو الفنية نرى طائفة من الفنون يحال دون رواجها لمناهضتها للفلسفة والفكر الصهيونى كالفنون العربية أو الاسلامية مثلا أو الفنون المصرية الحديثة .

ومن أهم الأغراض التى تخدمها تلك الدعاية المنظمة السيطرة على تلك الأسواق الفنية ، وترويج أعمال فنانين صهيونيين جدد ، والتكفل بنفقات الدعاية لها ، بل المغالاة فى تقديرها الى حد يجعلها من بين الأعمال المسوقة ذات الأثمان الثابتة فى الأسواق كاللوحات الأثرية مثلا ، أو الأسهم والسندات أو الأحجار الكريمة والحلى فى ميادين المال والتجارة .

ولا تقف الدعاية العنصرية عند هذا الحد فى ابراز انتاج بعض أعوانهم ورفع مستواه الى مستوى الفنون

العـــالمية ووصفها بالجـدة والأصالة النادرة ، وانما نراها جاهدة أحيانا كثيرة فى تضليل الرأى العـــام ، وتضليل الفنانين الناشئين ، بقلب مقاييس الجمال وأسانيده المتفق عليها رأسا على عقب ، والنظر الى الفوضى وعامل المصــادفة والارتجال كعناصر هامة للالهام •

والحقيقة أن تلك الدعاية حين تنـادى بالتحرر من قيود الفكر واستبعاد التقاليد الفنية ومقوماتها انما تبث روح الانحلال ، كما فعلت عند قيام الثورة الروسية من محاولة تحريف أهدافها ، وكمـا تفعل الآن فى اعاقة أى تيار فلسفى أو دينى يتنافى وأهدافها ، وربمـا كان من نتائجهـــا حالة الانحلال الخلقى والفنى التى فشـــت فى أوربا فى الربع الثانى من القـــرن الحـالى ، حيث بدأت تروج مذاهب فنية وتألق نجم بعض الفنانين ليخسف بعد قليل لعدم استناد شهرتهم على أسس صحيحة •

وكذلك الحال بالنســـبة الى المذاهب الفنية التى روجها تجار الفن كالسلع الزائفة التى لا تلبث أن ينفضح أمرها فتكســد وتحتجب عن الأنظار • وفى خـلال هـذه الصـــفقات المفتعلة تثبت المذاهب والنزعات الصهيونية وتروج فيتوهم بعض الناس أن مركزها الفنى أكثر ثباتا من غيرها •

ومن بين هـذه الصنوف والألوان الفنية التى تقـدم

للجمهـور لترويج المثاليات الصـهيونية اتجـاهات قد تبدو متفرقة مشعبة لا تخضـع لفلسفة أو جهة موحدة ، فمنها ما ينزع الى التعبير عن الخيال ، أو الى جوانب من العقل الباطن ، أو الى نواح شاعرية من الأساطير الشعبية، أو مشـاهد من التوراة • ويمكن أن نذكر من رواد تلك المدرسة ماكس أرنست ، ومارك شاجال ، وحايم سوتين ، ومانيه كاتن ، وجويرج •

ونحن لا نريد في كلمتنا هذه مناقشة أصالة أعمالهم أو سطحيتها وانما نريد أن نوضح مشكلة قائمة ، وهي تعذر اختراق الفنان المصرى أو العربى الحصـار الفنى المضروب حوله فى أسواق الفن فى الخارج ، ولا سيما فى أوربا وأمريكا ، كما يصعب عليه ــ مهما بلغ من الأصالة والجدة ــ أن تسوق أعماله ، وأن تتعهدها قاعات العرض فى الخارج بالكيفية التى تتعهد بها أعمال الآخرين •

ومن العسير أيضا أن تتعهد دور النشر فى الخـارج نشر مؤلفات عن الفن الحديث فى مصر بصـورة جدية ، هذا بطبيعة الحال مع استثناء بعض حالات فردية نادرة •

ان هـذه المشكلات فى مجموعها قد لمستها أوربا ، وتحيرت فى الاهتداء لعلاج العنصرية البغيضة التى تتخللها • وقد يشعر بعضنا بتلك المشكلة ، ولكن الغريب فى أمرنا

آننا لم نحاول اعتراض سبيل هذه الدعاية الطائفية السافرة ، بل نزيد فنتعهد ترجمة كتب النقاد الصهيونيين والاشادة بأعمال الفنانين الصهيونيين فى مجالات فنية كثيرة ، وربما ذهب بعضنا الى حد التعبير عن أساطير التوراة فى رسومه ، وهذا كله على سبيل التزام موقف واقعى حيال الفن .

اننا فى حاجة شديدة الى دعاية خارجية تقنع الرجل الأوربى بعبقرية الفكر العربى واستناد فنونه الى تراث أصيل يختلف فى طابعه برغم جدته عن الطابع الغربى ، وبأن للعرب خيالا ومثاليات وأساطير عريقة تضاهى غيرها ، وأن أمانى هذا الشعب العربى جديرة بالاحترام وتستحق تقدير سائر الشعوب ، وأن من النقاد العرب من يتسنى له أن يأتى بجديد فى تقويم الفنون وتصحيح المزاعم الزائفة التى تضلل الرأى العام فى الخارج .

بين زخرفة سقف أوبرا باريس ومعبد « أبو سمبل » :

وبينما شغلت أذهان الرأى العام فى أنحاء العالم العربى بمشكلة شحن المانيا الاتحادية الأسلحة الى اسرائيل واهدائها اياها الهبة تلو الأخرى كانت اسرائيل تذيع وتذاك ـ فيما سمته بتطلعها فى المجالات الفنية ـ أن المصور اليهودى الروسى الأصل « شاجال » أوشك أن ينتهى من لوحة كبرى أزمعت اسرائيل وضعها فى دار

برلمانها « الكنيست » حيث أريد تكريم هـذا الفنان الذى خدم القضية الصهيونية أجل خدمة ، مما حمل المسئولين فى هذه الدويلة المزعومة الى اقامة تمثال ل « شاجال » من صنع أحد النحاتين فى تل أبيب ليوضع ويزين مدخـل الكنيست •• والخبر فى حد ذاته ليس فيه أكثر من تستر الصهيونيين فى اصرارهم لتحقيق أطمـاعهم الهدامة وراء نفر من الشخصيات والحيثيات الفنية المناشرة للصهيونية والتى تضاربت حولها الآراء ، اذ تسنى لعملاء الصهيونية، بنفوذهم فى الأوساط المسـئولة الفرنسية أن يحملوا أهل الرأى على تكليف شاجال دون المصـورين الفرنسـيين جميعهم باعادة زخرفة ورسم سقف دار الأوبرا بباريس ، الأمر الذى أثار ثائرة النقاد والمصورين الفرنسيين وحملهم على سن هجوم منظم فى الصـحافة الفرنسـية على الوزير والناقد الفنى « مالرو » لانصرافه عن الافادة من العبقريات الفنية الفرنسية الأصل وارتكانه الى فنان روسى الأصـل لتزيين دار تعتبر من بين شعارات القومية الفرنسية وعنوانا لفنونها •

وليت ما أنجزه « شـاجال » على حـد قول هؤلاء المنتقدين كان جديرا بهـذه التضحية ، لأنه برغم شهرة هذا المصور فى موضوعاته الخيالية أو السريالية ــ أخفق تماما فى زخرفة سقف دار الأوبرا بباريس (١) حتى قيل

---

(١) انظر شكل ٣ •

انه شوهها لشـدة تناقض رسومه وطابع قاعة الأوبرا ٠
وكان من أشـد المناهضين لـ « شاجال » في عمله هـذا الناقد الفرنسي « بيير كابان » حيث نشر في عـدد مجلة الفنون التى صدرت فى باريس فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٦٤ مقالا يندد فيه بانتاج شـاجال داخل الأوبرا بباريس ، اذ كتب بالنص : وا أسـفاه ٠٠ ! لقد أخفق شاجال وهو فى السابعة والسبعين من عمره ، فصور أقل لوحاته نجاحا وأكثرها تناقضا فى ألوانها الصارخة ، وان جاز هذا الاخفاق فى حياة أى فنان فانه مما يزيد فضحه أنه أنجز فى سقف دار الأوبرا بباريس ٠ أن شاجال اذ يحاول التعبير عن أسطورة دافنى وشلوويه يجور على الطابع المعمارى الذى هيئت عليه هذه القاعة ، حيث تتضـارب ألوان لوحته والحليات المذهبة التى تحيط بقبو هـذه الدار فتأتى الرسوم متضاربة ورقة هـذه الزخارف ذات الطابع الروكوكو لتجبه أنظار الناس بمتاهات وحـدات سقيمة متناثرة لا يجمعها جامع أورابط سوى تلك الألوان المسطحة التى صورت فيها ٠

واذا صح أن يوصف هذا العمل على حد قول البعض بأنه من طرائف الفنون الشعبية الروسية فهذا ما يزيد من نقد ناله ؛ فلسنا حيال نقد سقف أوبرا فيتيبسك ؛ وانما نحن ازاء نقد ما يصلح لزينة سقف أوبرا باريس حيث بدت جموع الناس فى القاعة وقد أضفت سـمات الرسم والصور طابعها عليهم كما لو كانوا من المغول ٠



شكل (٣) جزء تفصيلي من سقف أوبرا باريس برسم مارك شاجال ٠

ومضى الناقد يهيب بالرأى العام ألا يمضى فى هــذا الضلال فيكلف شاجال كما كان مزمعا بتزيين أستار هذا المسرح الفرنسى . وان كان هــذا المقال على لوحة شاجال قد نشر فى السادس من أكتوبر فقد جاء عقب نشر مجلة ماتش الباريسية تحقيقا صحفيا بالألوان لشاجال صــدر فى ٢٦ سبتمبر ســنة ١٩٦٤ حاول كاتبه أن يقرب الى الجمهور تلك اللوحة التى تضاربت الآراء حولها ؛ بل سخط عليها جمهور الفنــانين من غــير المتعصبين للصهيونية أو المزمعين اقامة مدرســـة يهودية للفن فى أوربا وعلى وجه التحديد فى باريس ؛ اذ أن هـــذه الفكرة طالما ساورت مروجى هــذا اللون من العنصرية منـــذ الثلث الأول من القرن الحالى ؛ حيث تجد جذور هذه النزعة التى تشعبت فيما بعد واتخذت صيغة صهيونية من جهة فى اسرائيل ؛ ومن جهة أخرى صــفة الطابع اليهودى فى الفن الأوربى اذ ظهرت جذور هذه العنصرية ــ كما قلنا ــ فى الثلث الأول من القرن الحالى ، فقد نشر الناقد الفرنسى « رينى ويج » فى كتابه « تاريخ الحركة الفنية المعاصرة » الصادر فى سنة ١٩٣٥ دراسة مستفيضة فى هذا الـكتاب بقلم « روجر بريبل » تناولت تنفيذ حركة الفنانين اليهـــود فى فرنسا ، ذكر منهم بطبيعة الحال شاجال وكيسلنج وموديليانى ثم ليجيه وكاندينسكى ثم باسان وحايم سوتين هذا بالاضافة الى نفر من غير المعروفين من الفنانين مثل ماركوســيه ، مانولو ، يوجين زاك ، نودلمان ... الخ .

غير أن هذه العنصرية التى أريد تمييزها فى الفن فبوبت لها الأبواب فى كتب ودراســـات النقد الفنى لم تصادف رواجا بين المعتدلين من أهل الرأى فى المسائل الفنية والأدبية فى أوربا ؛ فقد نشر الأديب الفرنسى ؛ جان بول سارتر ، سنة ١٩٤٧ دراسة بعنوان تأملات فى المسألة اليهودية يقول : « قد نجانب الصواب فى مسايرتنا لزعم البعض أن اليهـــود يفتقرون الى قدرة على الابداع والخلق ، اذ هناك الكثير من المجالات قد نبغ فيها اليهود أمثال سبينوزا ومارسيل بروست ثم كافكـــا وداريوس ميلهارد ٠٠ ثم مارك شاجال واينشتين وأخيرا برجسون. واذا كان هذا الزعم مخطئا فلا يقل مجانبة للصواب من زعم بعض الفلاسفة اليهود أمثال ليون برانشـفيك فى افتراض عشيرته بمثابة رسل عالميين لتوحيد الفكر البشرى وتوثيق الانسان بالنواحى الروحانية عن طريقهم . غير أن هــذا الســعى لتوثيق الروابط بين الانســان والنواحى الروحانية انما يختص فى حقيقته ويتحدد بأفراد عشــيرته أو بالأحرى يتحدد بالطائفية اليهودية التى لا تتقيد بموطن معين وانما تقوم على مساندة بعضها بعضــــا فى النواحى المادية والثقافية والعاطفية على حد سواء » .

ولا نود الخوض أكثر من هذا فى تفهم الأواصر المحركة لفن شاجال ذلك الفنان الذى لا ننكر توفيقه فى بعـــض أعماله التى انتحلت صفة الطابع الشعبى الروسى ، وان لم يفصح عن كثير من مضامينه ، اذ حد الفنان تعبيره ووقفــه

على ايضاح قصص التوراة وأحاسيس الرجل اليهـــودى الشعبى فى روسيا بمدركاته الســاذجة وتخيلاته لنواحية الدينية ، بل شعوره بالثواب أو الوزر فيما يقع فى محيطه من أحداث ؛ برغم أن هذه التعبيرات فطرية ؛ وأنها تقف فى غالبيتها فى نطاق التفكير المجدد أو ما فيــه صــــفة التعصب والعنصرية ، تلك العنصرية التى تموه على الناس بعالميتها فى حين أنها تتحدد على الدوام بطائفيتها التى تحول دون ارتقاء فن شاجال مهما أسرف النقــــاد فى رفعه الى الدرجات القيادية فى الفن أو المراتب التى قد تكون نبراسا للأجيال القادمة .

ولا ريب أن ضيق النطاق الذى يعمل فيه هذا الفنان لا يجعل من المشكلات التى يطرقها أو يعالجها فى انتاجــه موضوعا ملحا يهم الرأى العام الفنى فى أنحاء العالم خارج النطاق المتأثر فى بعض عواصم العالم الغربى بتلك الطائفية أو العنصرية التى ينتهى بها الأمر لتصبح احــدى دعامات الدعاية الصهيونية . فلو أننا جردنا انتاج شــــاجال من عنصريته لبدا لنا مصبوغا بطابع المدرسة الباريسية الحديثة والحكم فيه قد يتقارب وأعمال بونار أو أوتريلو أو غيرهمــا .. ومهما يكن من أمر ، ومع تقديرنا لعبقريته فليس فى وقوف جمهورنا على مشكلات هذا الفنان واحاطته بآخـر ما انتهى اليه أثر جسيم على حركتنا الفنية ، لا سيمــــا أن شاجال قد جمد على نفس الطابع منذ ما يقرب من ثلث قرن ، وأصبحت لوحاته أشبه بطرائف وفكاهات ترددت

على مسامع القوم حتى أوشكوا أن يسأموا منهـــا فى بعض الأحيان •

ومجال الحديث عن تقويم شاجال في مراحله الأخيرة ومدى اطراده قد يطول ، وهو فى عمومه أمر قد تهتـم له قلة من خاصة الناس حيث تكون لهم فيه مجادلات كثيرة لا نود الانتهاء اليها بقدر ما نود التنبيه الى تلك التيارات الفنية التى تخدم تارة دعامة سياسية مغرضة كالقضـــية الصهيونية تستغل فى ناحية أخرى لايجـــاد تمييز دينى وعنصرى بغيض ينشق عن كافة التيارات الفنية الحديثـة لينفرد بنهج فنى مزعوم تنعكس فيه سمات تلك النزوات الرجعية •

وبينما نحن نرقب هذا الخضم من الآراء والتيارات اذا بمستظرف لا هو بفنان ولا بناقد فنى قد سنحت له الظروف بالاصطياف والطواف بربوع باريس فانتابته نشوة السائح الشرقى الجائل ففطن الى عجـائب باريس ومن بينهـــا دار الأوبرا التى شهد فيها ملاحم الموسيقى الشـــجية • وبينما هو فى لحظات التجلى رمق لوحة شاجال ، وانتهى الى مسامعه تضـــارب الرأى فى أمرها ، فأراد أن يفتى فى الموضوع ، بل سولت له نفسه أن ينقل فتـــواه وتقديره العظيم للوحة شاجال الى قرائه فى أنحاء بلادنا ، فيحدثهم عن مشـــكلة صـــورة دار أوبرا باريس كما لو كانت من المشكلات العويصة التى تهم الرأى العام العالمى ؛ وعـــلى الرغم من فصاحة وصف تلك الانطباعات فقد فات هـــذا

المصطاف أن الزمن الذى كان فيه باشوات مصر يتندرون عن خواطرهم فى الخارج ، وبالأحرى بمباهج باريس ، قد مضى وأنه لم يعد يثير الناس اليوم مثل هذه الأوصاف . واذا كان نفر من الكتاب العرب قد ألحوا فى وصفها عند مطالع هذا القرن فقد باتت مغامراتهم باهتة عند مداخل الحرب العالمية الثانية ، فلماذا هذا الارتداد الى التندر بها اليوم ومعاودة التشوق الى ذلك العالم الأوربى البعيد الذى طالما حلمت بعجائبه شعوب فى طفولتها وفى أحلامها وأغفلت أواصر قوميتها وأسانيد تراثها الثقافى والفنى العريقين ؟

واذا كان هذا التطور قد طرأ على سواد الناس فما بال السأم ينتابهم عند اطلاعهم على قضية لوحة سقف أوبرا باريس وهل هى مناسبة له أو غير مناسبة فيطمع كاتب المقال فى أن يوجه بعض ذواقة الفن من القراء الى التغاضى عن يقظة ضمائرهم ووعيهم بمبادئهم القومية وتقويمهم الصالح أو الفاسد من الأشياء فى محيط حياتهم اليومية وفقا للمبادىء الاشتراكية التى آمنوا بها .

وأغلب الظن أن جمهور القراء العرب لن تثيره لوحات شاجال التى زعم فيها تصوير الأساطير القديمة فيما يشبه الطابع الشعبى ، بل يرجح ألا يخدع الجمهور بما صوره شاجال زاعما تمثيل وداعة وأحلام الرجل الريفى على حين يراه الجمهور فى تزيينه مبنى الكنيست الاسرائيلى يؤيد قضية جارت على ألوف مؤلفة من الأهالى الوادعين المسالمين

من أبناء فلسطين . ان الجمهور يدرك ولا ريب أن مثل هذه السذاجة والوداعة التى يفتعلها شاجال انما هى زيف قائم على العنصرية البغيضة التى تبعد كل البعد عن فكرة الرجل الشعبى ومثاليته وأحلامه وحياته الساذجة التى لا تبغى تشريد الغير والقسوة على الوادعين . فلايحتاج فضح السذاجة التى يفتعلها شاجال الى عبقرية فنية فذة وانما يحتاج الى وعى سياسى ويقظة تكشف الزيف والرياء الذى تخفيه أعمال شاجال برغم براءتها المزعومة وسذاجتها المفتعلة .

ان وعى الجمهور والفنانين وغيرهم اليوم يجعلهم يتنبهون الى ما تخفيه الأعمال الفنية فى عمومها برغم ظواهرها وبساطتها من نواح سياسية مؤكدة تحركها وتميل بها الى هذا التيار أو ذاك ، وعلى العموم فمن اليسير أن يميز الجمهور المتطلع هذه المحركات السياسية فى كثير من اتجاهات الفن الحديث وأعمال مشاهير الفنانين الأوربيين كما فى حالة شاجال وكما قد يلمسها أيضا فى الكثير من المقالات الفنية والنقد ، فليس أقرب من ذلك المقال المغرض الذى نشر فى مجلة الفنون بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٦٥ تحت صورة لمعبد أبو سمبل أثناء نقله وتفكيك أجزائه على النحو المقترح لانقاذه بنقله الى ربوة لا تصل اليها مياه السد العالى حيث يتحسر الكاتب على اسهام فرنسا بمليون دولار لهذا العمل الذى يصفه الكاتب الكاتب المغرض بأنه دعاية كبرى وفاضحة تقوم بها مصر

المغرض بأنه دعاية كبرى وفاضحة تقوم بها مصر أن توفر فرنسا هذا المبلغ وتنفقه على انقاذ مرافقها الأثرية فى اللوفر أو فرساى التى هى فى أشد الحاجة الى هذا المبلغ من معبد أبى سنبل ٠

وشتان بين سذاجة الكاتب المصرى الذى أراد أن يقرب الى الجمهور فى بلادنا أعمال شاجال فى أوبرا باريس والناقد المغرض الخبيث الذى يزعم أن الحماسة قد دفعته الى المناداة بتوفير فرنسا أموالها واستغلالها لمنافعها قبل انفاقها على دعايات جمهورية مصر العربية وهذا ما يحملنا على يقين بأن المحركات السياسية تكاد أن تكون أساسا فى أحكام الفن اليوم ٠

ننتقل بعد هذا التخبط المغرض فى الآراء الفنية الى الحديث عن أحد الاتجاهات الفنية الحديثة التى ظهرت مع مطالع هذا القرن وخدمت القضية الصهيونية ٠

السيريالية والاستعمار الصهيونى :

فالحركة السيريالية من بين الحركات التعسة التى شوهتها أطماع العنصريات البغيضة اذ تبنتها الدعاية الصهيونية لخدمة أغراضها الاستعمارية ٠

ان قصة الفن السيريالى يمكن أن تقص على جملة أساليب أيسرها هو الشائع فى المراجع الأدبية كافة ٠ ونشأة هذا الطراز من الفنون ترجع الى حوالى سنة ١٩١٦، بمدينة زيورخ على أيدى جماعة من الفنانين والكتاب ٠

وهناك رواية للقصة نفسها ترجع مصـادرها الى القـرن التاسع عشر ٠

وقصص الفن ترتدى فى غالبية الأمر ثوبا من الطرافة يجعلها جذابة لقلوب الناس فتنساق فى تيارها أو تشغف بجدتها الى درجة العشق ؛ وقد تخفى أحيانا أثواب تلك الحركات الفنيـة نوايا سياسية أو عنصرية خبيثـة لا ترد فى المراجع ، ولا ينوه عنها الكتاب أو النقـاد فتخدم حماسة العشاق ولهفة المشـتاقين فى ركاب تلك الحركات أغراضا لا تخطر على بال أحد ٠

وحركة السيريالية ليست مقصورة على فنى التصوير والنحت فحسب ؛ وانما تشمل أيضا فنون المسرح والشعر والأدب والموسيقى ، وهى نزعة خيالية اسـتفادت كثيرا من دراسات علم النفس والقصص الخرافيـة ومعتقدات البدائيين فى المزج بين الحقيقة والخيال واليقظة والحلم ٠

وقد يسعى الفنان السيريالى الى تكشف جانب خفى وراء الحقائق الملموسـة يعتبره أوقع منهـا ، بل يرى فيه مقومات وأصولا لا تقل أهمية عن مقومات العالم المادى أو المرئى ٠ ولو أن المصادر الأوربية ترجع الفضل فى تكشـف هذا النوع الجديد من الفنـون الى طائفة من الأوروبيين على رأسهم قائمة من يهود أوربا ٠

واذا كان البحث عن المصـادر الحقيقية للحـركة السيريالية فى الفن لا يهدينا الى مخطوطات عربية قديمة،

فانا نجد فى التراث العربى وفى كثير من كتابات المؤلفين القدامى العرب ما يحدثنا عن مقومات ربما اعتبرت أساس هذه الحركة الفنية الحديثة أو من بين المصادر الحقيقية لها ، فلا يمكن نكران كتب تفسير الأحلام لابن سيرين وعبد الغنى النابلسى وغيرهم ، أو تجاهل أسلوب قصص الف ليلة وليلة فى معانيها المجازية ، أو تلك المؤلفات العربية التى لا حصر لها والتى تمتزج فيها الحقيقة بالخيال كمؤلفات البونى • ان الرجوع الى مثل هذه المؤلفات يؤكد لنا أن أوربا قد تأثرت فى جانب من تفكيرها بذلك التراث العربى •

ونحن لا نبحث هنا عما اذا كانت الفنون العربية قد أثرت بالفعل فى قادة الحركة السريالية فى ناحية التصوير التى تزعمها لفيف من يهود أوربا أمثال ماكسى أرنست ، وأندريه ماسون ، وكاندينسكى ومارك شاجال . فقد تبين من أحاديث بعضهم ومن أقوال غير اليهود من رواد هذه الحركة الفنية أن المخطوطات السحرية العربية لم تكن غريبة عليهم ، بل لقد اقتبست منها طابعها الفنى ، وعلى كل فمن اليسير تكشف الصلة الوثيقة التى تربط بين هذا اللون من الرسوم العربية والفنون السريالية الأوربية لنتأكد من صحة هذا الرأى . ولا يتسع تخصيص هذا الكتاب لتأكيد أثر المصادر العربية فى هذا الفن وانما نريد اظهار أساليب التمويه التى اتبعتها الدعاية الصهيونية فى خداع عدد كبير من الأفراد بأشعارهم أن

تلك النزعة الفنية الحديثة ما هى الا ضرب من الأوهام والخرافة لا يرجى منها أى مخرج فنى ذى قيمة .

وكعادة الصهيونية فى كل مؤامراتها جندت لهذه الأغراض طوائف لا تحصى من مدعى الفن الذين أسند اليهم مسخ وتحريف أهمية هذه النزعة الفنية وما يمكن الاستفادة من جوانبها المتعددة ، فى نواح بناءة .

وكان على عاتق تلك الجماعات افساد المواهب الفنية والهامها فى مزيج من الملذات والعبث الهدام على زعم أنه السبيل الوحيد لتكشف أواصر هذا الفن الجديد . ولم تخل مصر من عمـلاء العبث والتمويه عن حقيقة النزعة السريالية اذ عملوا بنشاط لافساد المواهب ما بين السنين القليلة التى سبقت الحرب العالمية الثانية والسنين التى أعقبتها حتى سنة ١٩٤٨ تقريبا ، حيث بدأ دعاة الفسق والانحراف ومزيفو الفن ممن كانوا يعملون فى الخفـاء لمصـلحة القضية الصهيونية يرحلون عن مصر وينتشرون فى مختلف الأقطار ـ فمنهم من نزح الى ايطاليا أو فرنسا ومنهم من نزح بعدئذ الى اسرائيل ، وكان مما فعله هؤلاء اظهار السريالية فى ثوب من السخرية جعل عددا كبيرا من الطبقة المثقفة فى مصر يستخدم لفظ سريالية للسخرية من فرد يدعى الفن والمجون ، ولكن بسمات الاستخفاف من مثقفى مصر أو أوربا لم تعق قيام مسرح سريالى وأدب سريالى له مقوماته ، وهذا أيضا لا نود المضى فى نقاشه .

اذ تبدو الحاجة ملحة الآن لفضح ما انتهت اليه الأطماع الصهيونية فى استخدامها الفنون السريالية فى شتى نواحيها لخدمة أهدافها الاستعمارية لغزو القارة الافريقية : غزو اقتصادها وأسواقها ، ونشر المبادىء الهدامة بين شعوبها .

فمن بين الأساليب التى اتبعت لتحقيق هذه الأهداف أن بدأت احدى المجلات الفرنسية قبل العدوان الثلاثى بقليل تتبنى التراث الفنى الافريقى وتزعم أن مصادر كثير من الفنون الأوربية يرجع الى أصل افريقى، فبينت كيف أن الفنون السريالية تحت زعامة لفيف من الصهيونيين هى أقرب الى الفكر الافريقى والعقلية الأفريقية الحديثة . وبمتابعة اعداد هذه المجلة تراها تعقد ندوات لبعض أهل الفكر من الافريقيين فى باريس . ومن محررى المجلة من يتردد على البلاد الافريقية ليبث فيها سمومه ليخدع السذج من أهالى تلك البلاد بأن العقائد التى يقال على غير حق انها بدائية وأن تقاليدهم وسبلهم فى المعيشة ، بل أدبهم وشعرهم وفنهم الذى يستسيغه الرجل الأوربى فى بعض البلاد ، انما تتفق تماما وما يؤمن به صفوة الفنانين والمثقفين فى أوربا وأسرائيل ، اذ يؤمنون بهذا التراث الزنجى الذى لا يفترق على الاطلاق عن مقومات ومفاهيم السريالية ، فلا سبيل للتباعد عن هذه النخبة ، أو على حد زعمهم هذه الصفوة الشديدة التقارب بالفكر الافريقى الصميم ، على حين انه لا سبيل

للتآلف بين الفكر الافريقى وتلك الشعوب أو البلاد التى يتعذر عليها تفهم واستساغة الروح الافريقية الأصيلة .

وأمام تلك الاسانيد والقرائن ، وأمام الندوات والاجتماعات وأمام السريالية التى اتخذت لجذب الفنانين والأدباء الافريقيين ننظر بحسرة الى الذين أوقفوا جهودهم على فهم تلك النزعات الفنية ، وبالأحرى تلك النزعات الفنية ذات المصدر العربى ، فأوقفوا جهودهم على التبسم والاستخفاف بها حتى اتخذت سلاحا ضد العرب ، ولكن يقظة البلاد العربية تحول دون تحقيق تلك المؤامرات الصهيونية المغرضة مهما كانت مقنعة .

ولقد ابتدعت أساليب الدعاية الصهيونية منذ القرن الماضى طرقا خاصة أرادت بها احراز سبق علمى أو أدبى أو فنى حتى يمكن أن يقال أن فى ناحية من هذه النواحى طابعا للتفكير الصهيونى ينعكس فى السبق الذى أحرزه واحد أو جماعة من أقطاب هذه الدعاية فى العلم أو الأدب أو الفن . وقامت هذه البدعة على تحديد بعض المجالات التى تزعم العكوف على دراستها لاحراز سبق واظهار تحيز فيها . ثم أعقب هذا التجديد محاولة لوقف كافة سبل التطور فى تلك المجالات على المنتمين الى عنصريتهم، فاحتاج الأمر الى قيام فريق من دعاة الصهيونية بدور المضللين والموهين لكل متسلل يتردد على المنافذ المؤدية

الى تلك المجـــالات التى أريد وقفها على الصـــهيونيين فحسب .

ونستعرض هنا بعض أســاليب التحايل البغيض الذى اتبع لتضليل الناس فى مجالات الفن والأدب والعلوم منـذ أواخر القـرن الماضى حتى الربع الأول من القـرن الحالى ، فلقد انفرد بعض الكتاب اليهود فى هذه الفترة بكتابة مؤلفات اضافية فى التنويم المغنـاطيسى وتحضير الأرواح والتنجيم ورؤية الأشـــباح وظـروف وجـودها وظهورها ، ثم تناولت بعض هذه المؤلفات شرح الاشعاعات الروحانية فشجعت هذه الأساليب من الخرافة والأوهام على تكوين جمعيات لا حصر لها أضاع فيها الشـــباب والشـــيوخ أعمارهم فى الدجل حيث علقت آمالهم على كشوف وهمية مزعومة .

والغريب أن كثيرا من أبطال تلك المؤلفات التافهة الضالة كان يكتب أيضا فى موضوعات جادة توخوا فيهـــا الدراسة العلمية الصادقة التى لا جدل فيها كدراستهم لعلم الفلك مثلا أو الطبيعة والكيمياء . وما كادت تمـر الســـنوات الأولى من بداية القرن الحالى والناس بين متخبط فى الأباطيل أو منســـاق فى التيارات العلمية البحتة ، حتى ظهرت طلائع الأبحاث التى أرادت بهـــا الصـــهيونية مفاجأة العـــالم بتقدمها فيها ، فظهرت دراســـات اضافية فى علم الأجناس والاجتماع والنفس حيث قومت شعوذة البدائيين وأسانيد عقائدهم وطباعهم

وجعلتها ذات مغزى علمى وليست مجرد أوهام يستنبط عن طريقها صوت الأرواح الهائمة على الأرض أو تتخذ سبيلا للوقوف على آراء الأقارب الأعزاء الذين توفوا ويراد سماع رغباتهم فى القبور .

لقد أريد الاستفادة بهذا الجانب النفسانى الذى يسيطر على العالم الذى يعيش فيه الرجل البدائى فيقيم ديانته وادراكه لقوى الطبيعة من حوله ويكيف نفسه فى فنه وشعره وقصصه وفقا لهذا العالم الذى تمتزج فيه الحقيقة بالخيال فلا يكاد يحول بينهما فاصل .

لقد أريد ليس فقط الاستفادة بهذا الجانب النفسانى فى مجالات العلم التى تقدم ذكرها ، بل الاستفادة به أيضا فى مجالات الفن والأدب ، حيث اتبعت أساليب التمويه نفسها لتضليل كثيرين من السذج والمنافقين فى نوع آخر من الأوهام حتى يتسنى لنبغاء الصهيونية احراز السبق الكافى فى الفن أو الأدب بل يعطوا الفرصة والوقت اللازمين للنهوض بسبقهم فى هذه الناحية .

وهنا نتساءل مرة أخرى عن الأسانيد التى ارتكنوا اليها لتحقيق أغراضهم الخبيثة هذه ، فنتبين أنهم أوهموا الأدباء والشعراء بأن الانغماس فى الشهوات والانزواء فى شتى الانحرافات يهيىء نوعا من الفكر أو يجلى البصيرة عن عالم تندمج فيه الخقيقة بالخرافة وتتضح فيه برغم تناقضه معان مجازية متآلفة . ولقد

انساق الشباب الموهوبون فى أنحاء العالم وراء الفسق باحثين عن مثيرات لشهواتهم وأحاسيسهم بغية كشف عالم المتناقضات ولقد ضاع فى مجال العربدة أيضا من لا حصر لهم من شبان باحثين عن شهوات رخيصة قد تثير فى أدبهم أو شعرهم تلك الأساليب المستحدثة فى التعبير التى تتميز بطابع الغرابة .

وقامت على النحو نفسه فى مجال الفن التشكيلى جماعات تنادي بالفوضى والحياد بعيدا عن كافة المفاهيم القديمة للفن مع تجنب التعليم والمرانة والحذق فى الأداء ، بل السعي وراء تعبير طليق مجرد من سائر هذه العوامل فيعبر الفنان عن انفعالاته الطارئة بالسبل التى تروق له مهما كانت مثيرة للناس غريبة عنهم مفاجئة لمداركهم .

وجرت وراء هذا الركب جموع لا حصر لها من الشبان أضاعوا أعمارهم فى الهذيان محاولين استنباط مثيرات تذهل على حد زعمهم تلك العقليات الجامدة التى حادت عن تقبل أى تغيير فى مقاييس الفن ، الا أن العالم لم يتسن له المعيشة فى انتظار شرود ذهن الفنان الذى وقف حياته على مفاجأة الناس بالغريب . وبينما أضاع هذا الفريق من الشبان حياته فى تصيد غرائب الأحاسيس كان لفيف من الفنانين الصهيونيين يستعد للنهوض لطابع فنى جديد . ولاندهش أن جاءت النزعة السريالية وفقا لهذه الخطة التى وان أحرزت السبق الفنى المطلوب على

يد جماعة من الصهيونيين ـ الا أنها انحرفت بعد قليل عن أهـــدافهم ، وتعهدها فنــانون لا يمتون لهذه العنصرية البغيضة بصلة ـ فلم تكد حركة السريالية تتضح فى بداية القرن الحالى حتى انتزع قيادتها غير الصهيونيين ، وكثيرا ما كان دعاة الفســـاد والانحـــلال يفتقرون فى معظم الأحيان الى القدرة على استحداث مذاهب فنية جديدة فكانوا ينقبون عن مفاهيم قديمة للفنون العالمية ينسبونها الى أنفسهم وذلك على ســـبيل خدمة دعايتهم العنصرية وتثبيط عزائم غيرهم .

لا غبار على التنافس العلمى أو الفنى والتسابق من أجل الوصول الى المعرفة التى من شـــأنها ضمان رقى البشر ، ولكن الذى نأخذه على هذا التنافس الملتوى هو الاصرار على ارجاع السبق الذى يحرزه الى طائفية تفترض تفوق بعض البشر على غيرهم ، ولا تشعر بالحرج لافساد حياة الغير وتضليلهم فى سبيل تفوقها ولو تفوقا زائفا .

واذا كنا قد فندنا فى عرضنا الســـابق الأواصر الصـــهيونية فى بعض الحركات الفنية الأوربية وبعض أقطابها من اليهود العاطفيين على تلك القضية السياسية ممن ينتحلون صفة الشـــعوذة على أنها من ضروب العلوم الرومانية المؤثرة على الفنون ، نرى أن ننتقل الى الحديث عن أعوان تلك العنصريات السياسية البغيضة وما كانوا يوردونه من فن ويقيمونه من نشاط ومعارض ، ونستهل

هذا الحديث بعرضنا لرأى الفنان ناجى فى صلة الفن بالصهيونية وأعوانها .

ولقد سجل الفنان ناجى فى مذكراته التى لم تنشر بعد ـ ولعله كتبها خلال الحرب العالمية الثانية ـ سجل خواطره عن معرض أقيم بالقاهرة لفنان يهودى حاول أن يجعل فنه محتفظا بأصالته وجدته مع تعبيره عن الطابع العنصرى الذى أراد أن يؤكده فى انتاجه ، فيقول ناجى فى مقالته :

ان محاولة الفن الاوروبى وادعاء النقد الاوروبى أن الطابع القومى للفنون من أهم دعائمها انما هو ادعاء يجعل الفنانين أو على الاقل طائفة منهم ينزوون ويحاولون تأكيد ناحية عنصرية بغيضة لم تستند اليها الفنون منذ نشأتها . فالفنون حاولت منذ القدم التعبير عن الجانب البيئى أو الطابع القومى أينما وجدت ، وكانت شعارا لتلك القومية أو ذلك الموطن .

وفى الوقت الذى تنادى فيه أوربا بالتخلص من تلك المشاعر القومية التى وصفت على غير حق بأنها لون من ألوان التأخر الاقليمى أو الانزواء الريفى ، تعجز عن فهم انزواء ليس اقليميا فحسب بل انه يستند الى نوع من الطائفية والعنصرية التى لا تتفق كلية وما ينادى به الفكر أو النقد الفنى الحديث .

وقد حاولت أن أناقش الفنان فى أعماله التى قلما

أثارتنى لغير هذا الجنــوح المفتعل لتصوير ــ أو بالاحرى للتعبير عن ناحية طائفية ــ ولا اعتراض لى على هذا لو أن هذه اللوحات التى صورها الفنان **ابل بان** كانت تعبر عن ناحية دينية بحتة كسائر الصور التى عبرت عن الموضوعات الدينية فى الفن المسيحى ، ولكن هذا الفنان على حد قوله يصـــور الطبيعة وهو يحـــاول أن يضمن انتـاجه ذلك الاحساس اليهودى الذى يريد التعبير عنه ٠

ويقول ناجى ــ انه دهش لمثل هذه الأغراض الفنية التى يتعمد الفنان تأكيدها فى لوحاته ، ورغم هذا التأكيد فهى لا تنقل الى المشاهد سوى شعور بالسأم والملل ٠

ويضيف ناجى أن الفن اليهـــودى الممثل فى أعمال باسان وســو فينى وموديليانى يعبر فى مجموعة عن نزعة تشاؤمية منطوية تعكس هــذا الانقباض الذى ساور نفس هؤلاء الفنانين والنزعة فى مجمـــوعها يمـكن أن توصف بالرومانسية ، فأحيـــانا نجـدها فى مثل هؤلاء الفنانين تفتقر الى قوام ، كمــا هو الحال فى الفنان سوتين حيث تبدو الالوان كما لو كانت قد سالت وامتزجت فى ليونة دون أن تتخذ شكلا محددا ٠ وهذه النزعة الانفعالية تتجه اما الى النزعة الحوشية أو الى غيرها من النزعات التى تعبر فى مجموعها ــ مهما تباينت ملامحها ــ عن نفوس معقدة ، ولكنها لا تصور بأى حال من الاحوال الطابع الدينى الذى أريد التنويه عنه فى تلك الأعمــال ، فهى على العكس من

هذا تصــور أحيانا ألوانا من الانحلال والتراخى ، وذلك الانحراف النفسى الذى لا تقره الأديان •

ولم يكن نقد ناجى للفنان «بان» هو التجربة الاولى التي مســـت مشاعره ضد التعصب العنصرى فى مجال الفن ، فلقد خبر منذ حداثة سنه تصرفات شاذة صدرت عن أمثال هذا الفنان الذى يتحدث عن لوحاته • وما كاد ناجى يظهر كفنان ويذيع صيته حتى تهـافت عليه بعض الفنانين الذين أخذوا يلازمونه بالحاح ويفرضون أنفسهم عليه ويسعون الى التدخل فى شئونه الخاصة والعامة فى ميادين الفن وغيرها ، فيحثونه ـ على سـبيل التدبير ـ بالتمثل بهم فى طريقة المعيشة • وكانت هذه الصداقات تتكشف فى نهـــاية الامر فى معظم الاحيان عن محاولات للضغط على ناجى ليحيد عن شـــعوره بقوميته واعتزازه بعروبته وتراثها الفنى ، وبدون جدوى حاولوا على سبيل رفع الكلفة بينهم السخرية من العالم العربى أو الشخصية المصرية زاعمين أن صورها منحلة الى أبعد الحدود ، وأن البلد بمـــا فيه من تراث لا يرجى منه خير ، فكان ناجى يعنفهم وينهرهم ويكذب هذه النظرة المعتمة التى يصورونها له ، فعلى الرغم من كافة المساخر القائمة فى البلاد وقتذاك كان هناك شعور دفين ما زال حيا وســـوف يستيقظ فى يوم ما ليبعث من جديد فى صورة نهضة شاملة •

ومرت الأيام وتهافت الجيل بعد الآخر من أصدقاء السـوء فلم يكلوا عن أغراضهم وكل ما نجحوا فيه هو

تشويه سمعة الفنان العربى فى الأوساط الأجنبية أو المجتمع المصرى صاحب النفوذ ، فقيل عنه انه غيور ، يكره الناس ، شديد الغضب ولم يقل أحد منهم انه كان غيورا على بلده وقوميته ٠

وخلال هذا الصراع الطويل مع أذناب الصهيونية أيقن دعاة السوء أن لا سبيل لافساد نفس هذا الفنان وجعلها تتقبل مفاهيم تلك الاقليميات المنحرفة الراغبة على الدوام فى بلاء الغير بالأمراض نفسها التى يعانون منها ، ولذلك نزعوا فى نهاية الامر الى مقاطعته فكان بالنسبة لهم الملحد المتطرف ٠

ولما توفى فى ابريل سنة ١٩٥٦ ـ لم يكن غريبا أن يتخلف عن تأبينه أو زيارة قبره هؤلاء الذين ادعوا صداقته وتعصبوا له وجاهروا طوال سنين كثيرة بأنهم أعز الاصدقاء ٠

ولعل هذه الكراهية الدفينة التى تزايدت فى قلوبهم كانت ناجمة عن شعورهم بأن ما قاله ناجى عن تيقظ الشعور القومى فى مصر حق ، وأن لا سبيل الى ترك الطابع القومى فى الفنون لتقف على ساقيها ، أما الفنون الصهيونية التى يدعون أنها أصيلة ، فلا تقوم على أسس فنية سليمة تميزها ، ومصيرها أن ينفضح أمرها وتنكشف أغراضها ويتبين الجمهور تفاهتها ٠ بل قد تفوقها بيسر فنون أخرى تنهض فيما بعد وتستند على الطابع القومى الذى لا مناص منه ٠

ونحن اذن نتحدث عن الدعاية الصهيونية فى مجال الفن ــ فى غير ما أورده الفنان ناجى ــ نتذكر الأثر السيىء الذى تركه أعــوان تلــك الدعاية الذين عملوا جاهدين لتضليــل الحركة الفنية فى مصر وانحرافها عن أهدافها القومية ، بل فقدانها أى طابع محلى ذى صبغة عربية أو شعبية مميزة ، فلقد تغلغل النفوذ الصهيونى فى البــلاد العربية فى بداية هذا القرن واحتجز لنفســه بعض وظائف ذات أثر فعال عند حكام البلاد من الامراء والملوك الرجعيين مثل أعمال الوصيفات والمحاماة لدى المحــاكم المختلطة أو ادارات بيوت المال والاعمال والصحافة ، وفى الوقت نفسه تسرب هذا النفوذ الى الفنون بشتى نواحيها ، وتقلد أعوان الصهيونية مناصب مختلفة فى جمعيات الفنــون جمعية محبى الفنــون الجميلة وجمعيــات الموســيقى والمسرح ومعاهدها الخاصة ، وعملوا على توجيه الحكام من داخل القصور وتشجيعهم على الاقتداء بالمثاليات الاجنبية سليمة كانت أم مبتذلة .

فهذا الجنوح الذى انساق فى تياره الملوك والامراء والحكام لضعف شخصياتهم وجهلهم ، انما تراه جزءا من برنامج شامل وخطة مدبرة محكمة الربط تهدف الى اضعاف الروح القومية وافسادها فى السياسة وفى الاقتصاد وفى الفنون وفى الفلسفة وشتى نواحى الفكر ، فكانت تروج وقتذاك فى فترات معينة فرق للمسرح ونوابغ فى الموسيقى وعباقرة فى التصوير والنحت ، ويكفى أن نراجع المجلات

الآجنبية التى صـدرت بمصر فى أوائل القـرن الحالى ، ولا سيما بين سـنة ١٩٢٠ حتى نهـاية الحرب العالمية الثانية ، لندرك هذا النفوذ الصهيونى من عدد الشخصيات الأجنبية التى أشادت هـذه المجلات بفضلها ، اذ نكشف أن عددا وفيرا منها ينتمى الى أصل صهيونى ، ويمكن أن نربط بين عناصر تلك الدعاية الفاضحة الممثلة فى المقالات والأشعار والحفلات الموسيقية والتمثيلية التى لا حصر لها والتى يرعاها أثرياء تلـك الطـوائف وأقطـابها الذين بعد ما اطمأنوا لسيطرتهم على زمام البلاد أخذوا يعلنون عن مجتمعاتهم وحفلاتهم دون حرج ـ يمكن أن نربط هذا بالمعـارض الفنية التى أقيمت فى تلك الفترة وأسـماء العبقريات المزعومة التى ظهرت فيهـا وتمثلت فى أعوان تلك الصهيـونية البغيضة ولولا فقـدان « كتالوجات » المعارض الفنية التى أقامتها أقدم جمعية فنون فى سنواتها الاولى ـ وربما كان هذا بايحاء من تلك الدعاية الخبيثة ـ لتبين للكثيرين أن الفنانين الصهيونيين الذين كانوا يوالون المعارض بانتاجهم وتنظم لهم الدعاية ويقدم لهم التشجيع المادى ، كانوا يظهرون فى تلك الفترة الحرجة من تاريخنا كما لو كانوا رواد الفن حقا وأقطابه بشكل لا جدال فيه. فمن بين تلك النجوم الفنية اللامعة من شجع بايحاء مغرض الى طرق مجال العرض فى الخـارج حيث تعهدتهم أعوان تلك الدعاية فى أوربا فسعت جاهدة الى الرفع من شأنهم وترويج انتاجهم . ويمكن أن نذكر من بين هؤلاء المصور

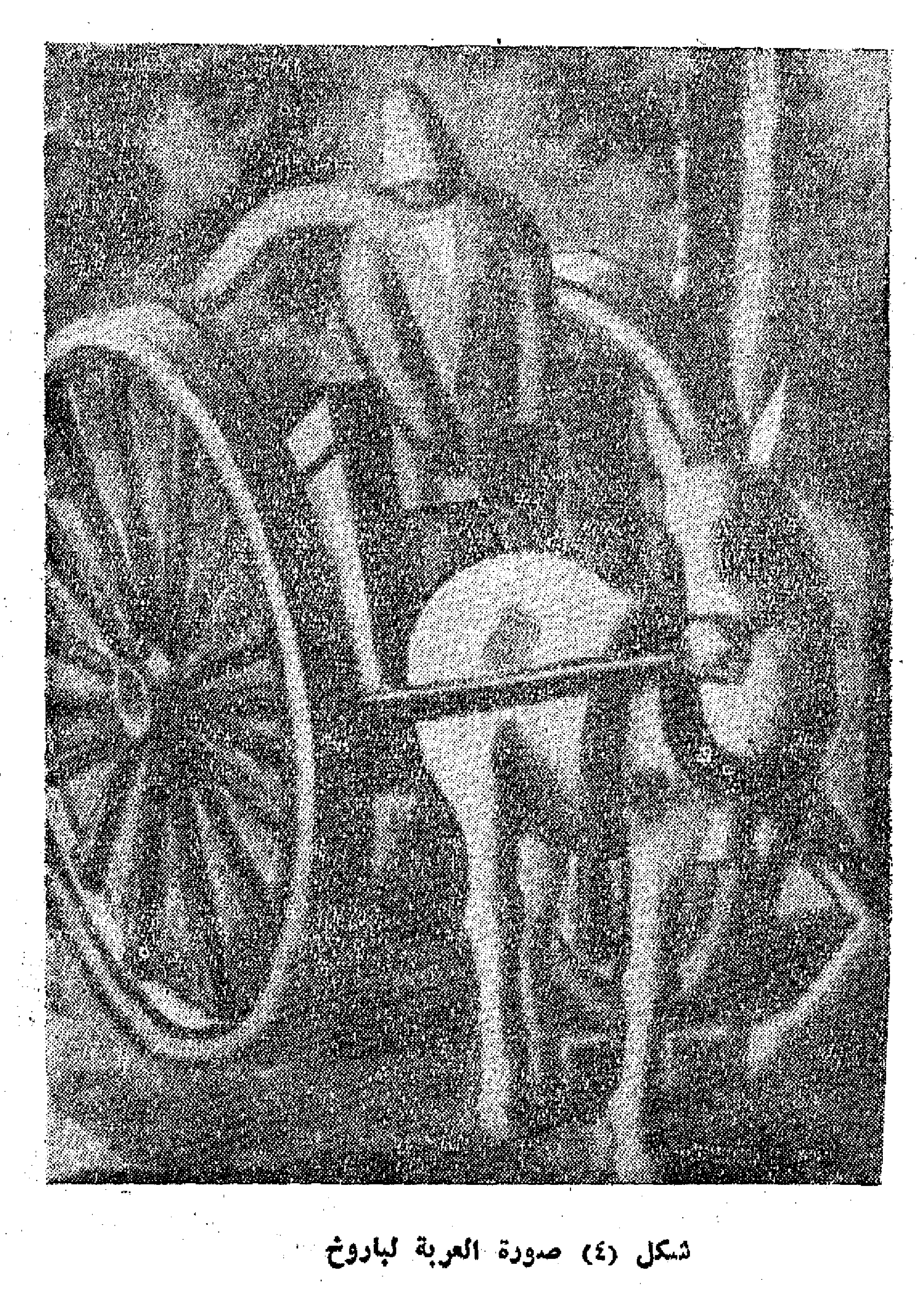
باروخ(١) الذى نشأ فى الاسكندرية وعرض بها وبمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية نماذج لأعماله وعند هواة الفن فى مصر من أعوان الصهيونية عدد غير قليل من لوحاته ، وما أن تيسر حال هذا الفنان حتى نزح الى باريس فاستقر بها حيث تعهدته المنظمة الصهيونية هناك فذاع صيته٠٠

ومن بين الفنانين اليهود الذين نشأوا فى مصر من سلك مسلك باروخ ، ومنهم من كان يعرض فى الخارج فينال تشجيعا من أعوان الصهيونية هناك ثم يعود وكأن أعماله قد توجت بالفعل فى العواصم الاوربية فيجىء الى مصر بعد هذا النصر الزائف ليشعر الفنانين المصريين الحقيقيين بتلاشيهم فى مجالات الفن أمام تفوقه ٠٠ ومن أمثال هؤلاء الفنانين اليهود ساسون وترنى وبينزرا وسوزى جرين وغيرهم ممن غصت المجموعات الخاصة بأعمالهم ٠ بل نذكر أولئك الفنانين الاجانب الذين عاشوا فى مصر وتصيدهم اليهود فتزوجوا منهم ، وما ان قضوا أعواما فى مصر حتى انتقلوا الى فلسطين عند قيام دولة اسرائيل المزعومة فاستوطنوا فيها أمثال المصور الفرنسى بوجلان (٢) الذى انتشرت أعماله فى الأوساط الفنية المصرية فى تلك الفترة وكان من أكبر الجامعين لنماذج من الفنون الشعبية المصرية ولا سيما صور الوشم وقطع الحلى

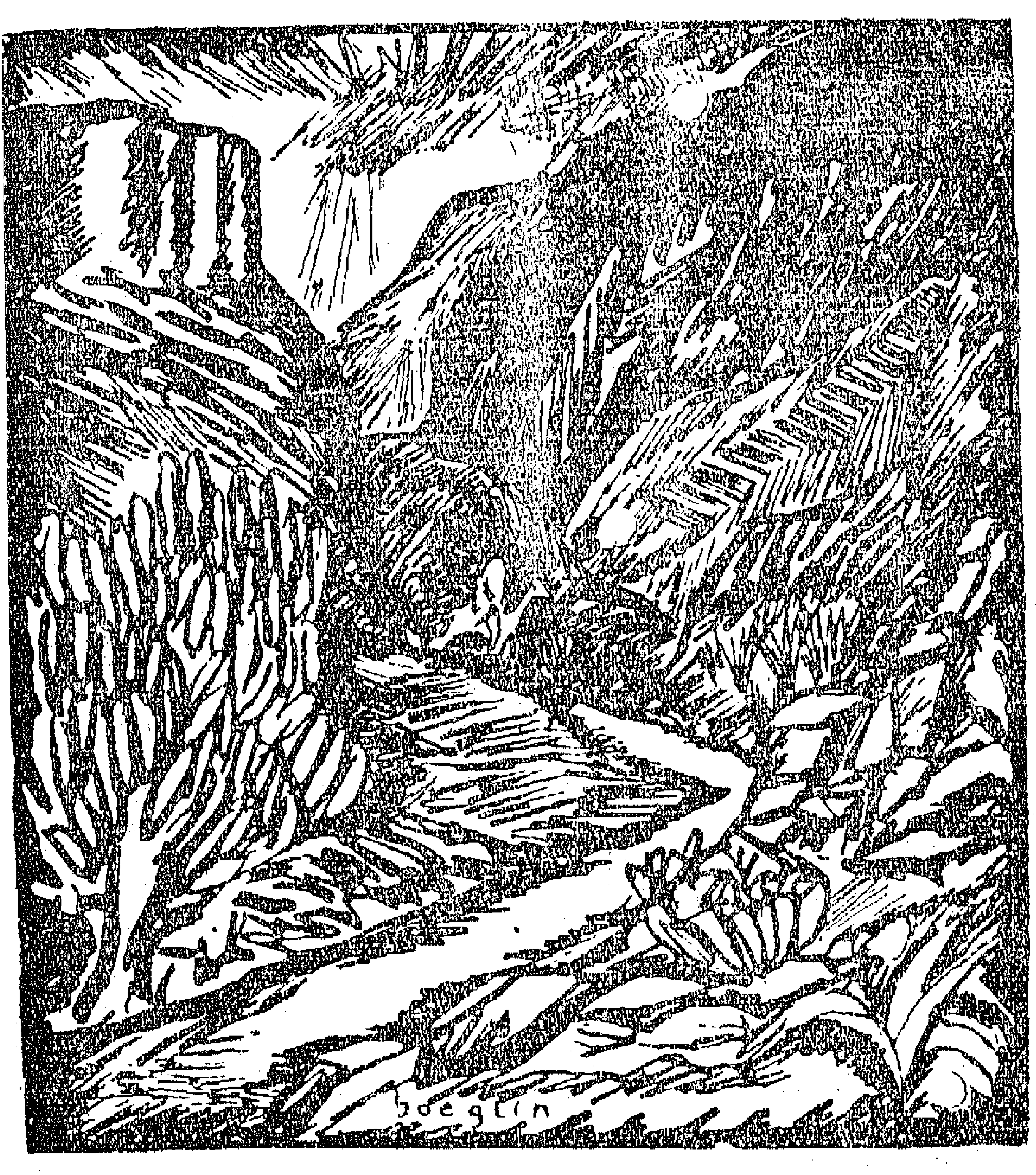
---

(١) انظر شكل ٤ ٠

(٢) انظر شكل ٥ ٠



شكل (٤) صورة العربة لباروخ



شكل (٥) رسم للمصور الفرنسي بوجلان يمثل طبيعة المناظر في الحبشة .

الشعبى وغير ذلك مما جمعه خلال أعوام كثيرة ومن مصادر قروية متباينة وتزوج بوجـــلان بعد ذلك من فتاة يهودية مصرية وأقام فترة بعد زواجه فى مصر يقيـم الحفـــلات ويستقبل الغرباء فيبهرهم بأحاديثه وآرائه عن الفنون • ثم اختفى بعد الحـرب العالمية الثانية ليستقر فى اسرائيل ويبدأ الى جانب نشاطه الفنى نشـــاطا يبغى تطوير وجمع الفنون الشعبية العربية الاصيلة التى زعم أنها اسرائيلية، حيث أصبح محور تفـــكيره يدور على اخراج ألوان فنية متطـورة ومطعمة بالفنون الشـعبية أسـوة بتلك البرامج الاذاعية التى تذيع فيهـا اسرائيـل المواويل الأندلسية المتطورة •

واذا تعذر على بوجلان أن يجد غضاضة وحرجا فى هجرته وتنصله لا نقول عن مصر وانما عن فرنسيته فى سبيل تعصبه دون مبرر للصهيونية ، وتحامله على البلد الذى آواه وتعلم منه وتلصص تراثه الشعبى ، فقد يكون هذا أقل خللا ونكرانا للجميل من الفنانين اليهود المصريين الذين تلقوا دروســـهم وحصلوا على مؤهلاتهم الفنية من كلياتنا الفنية أمثال ابراهيم مسعودة (١) الذى بعـد أن ادخر وتشرب مافيه الكفاية من الاســاليب الفنية المصرية وتأثر بأقطاب فنوننا المعـاصرة تزوج من فتـــاة ايطالية الاصل ورحل عند قيام ثورتنا الاشتراكية •

---

(١) انظر شكل ٦ •



شكل (٦) لوحة الفنان ابراهيم مسعودة رسمها فى مصر سنة ١٩٤٩ تمثل مدينة افلاطون ٠

وان كان هذا التقليد فى أســاليب هجرة الفنانين اليهود وغيرهم من مصر الى اسرائيل قــد تحقق عن طريق التزاوج ، فقد قام نوع من الاستدراج لا يهدف التهجير الى اسرائيل بقدر ما يهدف الى ترويج أساليب فنية خاصة فى مصر تتفق والمثــاليات الصهيونية وذلك عن طريق تزاوج نفر من الفتيات الاسرائيليات الاجنبيات من فنانين مصريين غير اسرائيليين ، وسرعان ما أكســـبوهم وأكسبوا فنهم

صبغة بعيدة كل البعد عن القومية بل مفرطة فى ترويج فكرة عالمية الفن وتجانس أسـانيده فى سائر الشعوب ، وكان من نتائج هذا كله مناصرة هؤلاء لمـا استحدث من فنون فوضـوية وانصرافهم تدريجيا عن جميع ما يتصف بالطابع القومى فى الفن ، لا سـيما أنماطه العربية التى أصبحت على ألسنتهم مادة للسـخرية والاستخفاف ، بل عناوين للتأخر والرجعية ، فى حين تسيل أقلامهم وتسهب أقوالهم فى الاشـادة بعبقريات الفنـانين اليهود فى أوربا حيث تتلاحق مقالات الاشادة بعبقريات أمثـال كاندنسكى وشاجال وموتين ومودیجلیانی وغيرهم ممن سبقت الاشارة اليهم •

ويمكن أن نذكر أسماء عشرات من بين الفنانين اليهود بمصر ممن اضطروا فى السنوات الاخيرة ـ ولا سيما بعد العدوان الثلاثى الغاشم على البلاد ـ الى الهجرة لتجنسهم بجنسيات أجنبية أو لخشيتهم أن ينفضح أمرهم، أو لضيق مناطق نفوذهم فى مصر بعد قيـام الثـورة سـنة ١٩٥٢ وتطبيق القوانين الاشـتراكية فى البلاد طوال السنوات العشر الماضية ومنهم من ظل مقيمـا فى البلاد حتى الآن والظاهرة التى نحاول ايضاحها هنا هى أنه عندما استقر الحال لتلك الطوائف فى البلاد واتسـع نطاق نفوذها ظهرت المسارح والجوقات الموسيقية والمـلاهى وظهر الفنانون التشكيليون الصهيونيون ، فجـاهرت الدعاية بأعوانها ، وكان من دلائل أسـانيدها التظاهر بالمسـرح الزائد أمام

المصريين وكأن مجتمعاتهم وأحاديثهم ونشاطهم حياة ساحرة تضفي البهجة والسرور على النفس ، فيتطلع السذج الى تلك المجالس فيسمع فيها أحاديث طريفة ونوادر تهدم فى معانيها الخفية الشعور القومى ، ففى أساليبها الساخرة وتهكماتها التى تصدر على أنها لون من ألوان الفنون المتحررة الناقدة ينكشف الباطن المغرض الذى يقصد به التأثير على ضعاف العزيمة ، فتبدأ موجات هذا الاثر الرجعى تنتشر بين طوائف الشبان المتطلعين الى كل بدعة أجنبية جديدة ، فيرددون بعض النوادر والقصص الهزلية والأغانى التى سمعوها فى تلك المجالات ، بل نراهم فى حركاتهم ولهجاتهم وسبل تسليتهم يقلدون ما أريد منهم أن يقلدوه ويحاكوه دون أن يفطنوا الى حقيقة أمره . ولا غرابة أن تندفع جماعة لا صلة لها بتلك المنظمات فى الدعاية لها ، فتتهجم على التقاليد الاجتماعية والعقائد الدينية، وفى مجالات الفن نراها تنادى بالفوضوية واباحة المزج والخلط بين شتى مذاهب الفن وتشجيع جوانب المصادفة والتلقائية ، وكأن الفن أو الفنون تعبير عن خيالات وأوهام مدمنى المخدرات أو الخمور .

وقد قامت بالفعل حوالى سنة ١٩٤٢/٣٦ — جماعات فنية تخدم تلك الاهداف . وتستمر هذه الدعاية المنظمة على هذا النحو حتى تشعر بخطر يهددها فتختفى على الفور الأسماء اللامعة من بين أقطابها ومن بين رجال المال والاعمال وتشيع فى البلاد شائعات بأن فى هجرة هؤلاء

ونزوحهم الى الخارج خطرا على اقتصاد البلاد ونهضتها فى جميع مناحي الفكر والفن والثروة ، ثم يتبع ذلك اختفاء المسارح والحفلات ، وتقل المعارض ذات الطابع العنصرى الفاضح ثم تغلق الاندية الثقافية والفنية والرياضية ذات الطابع العنصرى وكذلك المطاعم والحانات ثم أشهر المحال التجارية ذات الصبغة الصهيونية ، وينتقل هذا اللون من النشاط من طوره العلنى الى طوره الخفى كالعذراء فى حالة الحشرات التى تستكين فى خمول ظاهرى ، وهى فى الحقيقة تستعد لوثبتها القادمة فى أثناء ما يبدو جمودا .

تبدأ فى تلك الفترة ظاهرة تساير هذا النهج وهى اقتران فتيات من الصهاينة بمن يخالفونهن دينا ، كما تبدو نزعة تميل الى اتخاذ أسماء قد يظن أن أصحابها مسلمون أو مسيحيون ، ويمكن أن نذكر فى مجالات الفن كثيرين ممن هجروا ديانتهم الاسرائيلية دون سبب واضح واعتنقوا ديانات آخرى وتزاوجوا ـ كما تقدم ـ فبدت عليهم فى وقت ما مسحة دينية جديدة ـ أن هذه الاساليب فى التنظيم والتدبير تسير وفقا لخطة ثابتة ليست بجديدة على الفكر الصهيونى ، اذ يتسنى لأى باحث أن يتتبعها اذا درس تاريخ بنى اسرائيل نفسه ، فهو حافل بالأمثلة التى أذاعوا فيها أنهم هاجروا أو اندثروا عن آخرهم أو نكل بهم أو سيقوا الى الأسر وما الى ذلك ..

وربما يتضح فيما بعد أن خروج بنى اسرائيل من مصر أيام الفراعنة لا يعنى خروجهم أجمعين ، وأن طوائف

منهم قد بقيت لتكون خـــلايا تساعد على افساد الحكم ، وربما يظهر أيضا أن قضاء الآشوريين على دويلة اسرائيل وأسر أهلها فى العراق ليس معناه عدم بقاء جماعات منهم فى أرض فلسطين ظلت برغم تفرقها وتشتت شملها تفسد الحكم الآشورى فيها ٠

وعلى كل فالتـــاريخ بين مدى ما فعل اليهود الذين ســيقوا الى الأسر الآشــورى من افساد الحكم ومقدار مساعدتهم للفرس للقضـاء على الدولة الآشورية نفسها ، ثم لا يخلو التاريخ من أمثلة مقاومة تلك العنصريات للحكم اليونانى والرومانى تذكر منها الاضطرابات التى قاموا بها أثناء حكم الامبراطور هادريان الذى اضطر الى قمعها بنفسه فى فلسطين ٠

والغرض من هذه اللمحة التاريخية البسيطة ـــ هو تتبع فكرة الهجرة وما كانت تحمله فى كل مرة فى تاريخ الصهيونية من معان ، فقد تحـــدث هجرة بالفعل ، وقد تحدث مجازر كالتى صنعها الآشــوريين والرومان فتطوح بجماعات يظن أنهم قادة هذا الشعب ورؤساء عشائره ثم يتضح فيما بعد أن الذين لاقوا حتفهم ماهم الا صور زائفة وأنهم كانوا يتحركون وفقا لأوامر قادة ومنظمين مجهولين يعملون فى الخفاء قد يكونون فى داخل البلاد أو خارجها، وربما كانوا يشتغلون فى مهن بسيطة للغاية ، وقد يخدع مظهرهم الرث المتنـاهى فى الفقر ويخفى حقيقة أمرهم ٠ بل لقد انخدع التاريخ حتى الآن أمام أساليبهم فى التمويه

عن حقيقة شخصياتهم والتستر بمهارة فائقة على قادتهم حتى عصرنا الحاضر ، كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية ، فما لاقوه من اضطهاد عنصرى فى ألمانيا لم يقض على قادتهم ، وهكذا نتبين تدريجيا أن الأسباب الوقائية التى طالما لجأت اليها الصهيونية استندت منذ زمن طويل الى نظام دقيق وقد كتبت فى مناهجها ومسالكها مؤلفات سرية تدرس تعاليمها فى الخفاء ، مثل بروتوكول الحكماء الصهيونيين ، ولا نهدف من الحديث عنها الا أن نظهر أن تلك الحركة الفنية التى قاموا بها فى مصر واندفع فى ركابها طوائف من الشبان غير الصهيونيين انما كانت فى أغلب الظن ــ برغم تنوعها وتعدد جوانبها ــ كالطفح الذى ينجم عن بعض الأمراض التى تصيب الانسان فاذا ماعالجها اختفت فى الظاهر وبقى دفين الداء يظهر فى صورة جديدة فيعالجها المرء كداء جديد فيزول ليتخذ شكلا ثالثا دون القضاء على أصله .

ففى هذا النظام قد تحتم بعض الظروف الاجتماعية أو التاريخية أن يحكم القادة المحركون على طوائف بأسرها بالفناء فى سبيل انقاذ غيرها أو العمل طوال حياتهم وحياة أجيالهم القادمة على أن يستفيد بجهودهم ومالهم أو صيتهم طوائف أخرى ، وذلك دون الشعور بالاضطهاد أو الغبن . فهذه الدعامات الاجتماعية انما نتكشفها فى صميم أسماء الاسرائيليين أنفسهم حيث يدل كل اسم طائفى فيها على مرتبة اجتماعية وعلى نوع العمل الخفى المنوط به .

أما الفنانون اليهود الذين نشأوا فى مصر ، وتشبعوا بتراثها الفنى والثقافى ثم أخذوا يحملون عليها بعد ذلك، فأمرهم هين ويسير ، فنحن نشعر بالطمأنينة فى ايماننا بقضيتنا وبقوميتنا العربية ، ولسنا بالخاسرين فى هجرة نفر من الملحدين الناكرين الجميل ، هذا بالاضافة الى أن الفن الصهيونى ــ القــائم على سرقة تراث من هنا ومن هناكــ وادعاءه الاصالة أحيانا والعالمية أخرى سيجد نفسه على الدوام مضــطرا الى أن يستعير ويسلب من التراث العربى فى بلادنا لأنه لا أصل فنى له ٠

وعلى كل ــ فحصيلة المهاجرين الصهاينة من مصر الى اسرائيل ــ هذه الحصيلة الفنية التى خلفوها ، انما تثبت لنا ضعف مستوياتهم الفنية التى لو عرضت اليوم لبدت هزيلة برغم ما قاله عن محاسنها أهل النقد الاوربيون فى مصر فى العهود البغيضة الماضية ٠

ويحسن بعد عرضنا لهجرة الصهاينة من الفنانين عن مصر٠٠ أن نعرض رأيا مغرضا لأحد أعوان هذا المخطط٠٠ فى أحوال وفنون عرب فلسطين ــ الوطن العربى السليب٠

دراسة مزيفة لسبل معيشة عرب النقب :

لم يدع المخطط الصهيونى فرصة تفلت منه للتشهير بعرب فلسطين وتصويرهم على أنهم قــد بلغوا درجة من الهمجية والحيــاة المليئة بالبغض والكراهيــة والأحقــاد والضغائن يستحيل معها انخراطهم فى سبل المدنية الحديثة

والتطوير الصناعى الذى انتشر فى أرجاء العـــالم ٠ ولا تقتصر هذه الوسيلة الرخيصة على نسبة هذه الادعاءات الى عرب فلسطين المقيمين فيها حتى اليوم تحت نير الاستعمار الصهيونى ، أو الذين اضطروا الى الهـجرة والالتجاء الى البـــلاد العربية الاخرى ٠٠ ريثما يســـتعيدون موطنهم المســـلوب مرة أخرى ، ولـكن تلك الادعاءات الرخيصة والتشهير والسب ونســبة الاكاذيب والشـــكوك تشمل المواطن العربى الفلسطيني حيث كان فى وقت تثير قضية اللاجئين عطف العـالم بأسره ، فان تلك المخططات تفننت فى اثارة كراهية الناس والمثقفين منهم على وجه الخصوص، مستندين في ذلك على سلسلة مقالات ودراسات تنشر فى دوريات علمية متخذة صورة المسح الشامل لعادات وتقاليد وفنون القبائل العربية التى ما زالت فى فلسطين مبينين فيما يشبه الأبحاث ذات الصبغة العلمية للفنون الشعبية وللعادات والتقاليد عند تلك المجتمعات التى مازالت تعيش على حد هذا الزعم على فطرتها وسجيتها مما يستحق النشر عنه فى مجال الدوريات علوم الاجنـــاس أو الاجتماع أو الفنون الشعبية بوجه عام ، حيث يجد عملاء هذا المخطط السبل مفتوحة أمامهم لنشر حقدهم وكراهيتهم للعرب فى قوالب منهجية توهم القارىء بأن التبحر العلمي قد أخذ من كتــابه مأخذا ، وأن أمانة التنقيب التى يزعمونها قد حملتهم على اقتفاء أثر الحقائق وتحمـــل المشاق والاجتهاد بل السعى فى الفيافى والقفار ، فينساق القارىء الساذج

فى تيار ما توهمه بحوثا ، ليجد نفسه فى نهاية كل مقال ساخطا على الخرافات التى ينسبها الكتاب المغرضون الى عرب فلسطين ، بغية بث روح السخط على قضية اللاجئين الذين حامت حولهم عن طريق مثل هذه الكتابات الدنيئة شبهات الشعوذة والجهل بل الخرافات التى لا يقبلها أى عقل بشرى سليم اليوم ..

ونحن هنا ننشر ملخصا لاحدى هذه المقالات أو الدراسات التى نشرت بالمجلة الدورية التى يصدرها متحف الانسان بباريس ، وتختص فى أساسها بعرض لدراسات ضافية فى علوم الانسان والفنون الشعبية عند مختلف الشعوب . فقد جاء بالعدد الاول لهذه الدورية من اعدادها الصادرة خلال عام ١٩٦٣ دراسة بقلم يوسف شلهود بعنوان «حملة علمية لدراسة بدو النقب» جاء فيها أن منطقة النقب التى تقع ما بين حدود آسيا وأفريقيا تعتبر منطقة جرداء يعيش فيها ما يقرب من عشرين ألفا من البدو الأعراب الذين ينتمون الى قبيلة الضباحة وهم يكونون فريقين من التجمعات التى تتوثق بينها المنافع المشتركة ويعيش أفراد كل فريق تحت خيامه السوداء وتتسم حياتهم بالبداوة البدائية . وكان هؤلاء البدو حتى نهاية الحرب العالمية الثانية يعيشون كما عاش أسلافهم فى الأزمنة الغابرة (١) . على سلب ونهب أى زائر يجول

(١) انظر شكل ٧ .



شكل (٧) امرأة بدوية من أعراب صحراء النقب .

فى المنطقة • وهم يتقاتلون فيما بينهم ، ويسودهم الشقاق والفتنة لما بينهم من منازعات جعلتهم فى عزلة عن المدنية والتطور الصناعى الذى يسود القرن العشرين ••

وقد اضطرتهم الظروف السياسية الناشبة فى قيام دولة اسرائيل الى الاستغناء عن ماضيهم المظلم المتأخر ومسايرة الركب الحديث أو التعرض للفناء المحقق ، وهكذا أصبح من المهم دراسة سبل تكيفهم وظروف المدنية الحديثة المتطورة ، كما أصبح من الملح دراسة عاداتهم وتقاليدهم التى توشك أن تنقرض وتزول •

وقد كان تعداد هذه القبائل قبل سنة ١٩٤٨ ـ يزيد على ثمانين ألف نسمة ـ وتسود عادات وتقاليد أهل منطقة النقب من البدو الاعراب أساليب فى المعيشة وضروب من المعاملات تتنافى وتعاليم الاسلام ، لا سيما فى سبل التزاوج بينهم ونظرتهم الى طرق علاج الامراض وأسباب انتشارها مما أورده كاتب هذا المقال المدعو شلهود فى دراسة نشرها بالجزء الخامس من هذه الدورية الصادر سنة ١٩٦٥ ـ حيث يربط بين معتقدات قبيلة الضباحة فى الجن وأسباب انتشار بعض الأمراض مما يضطرهم الى الرجوع الى بعض الأولياء للتخلص من آثار تلك المؤثرات الخبيثة التى تحتاج الى مزيد من الشعوذة والاحراز والأحجبة وغير ذلك من وسائل طرد الأرواح الشريرة المسببة للأمراض •

ويبسط شلهود ألوان الفنون الشعبية المنتشرة عند

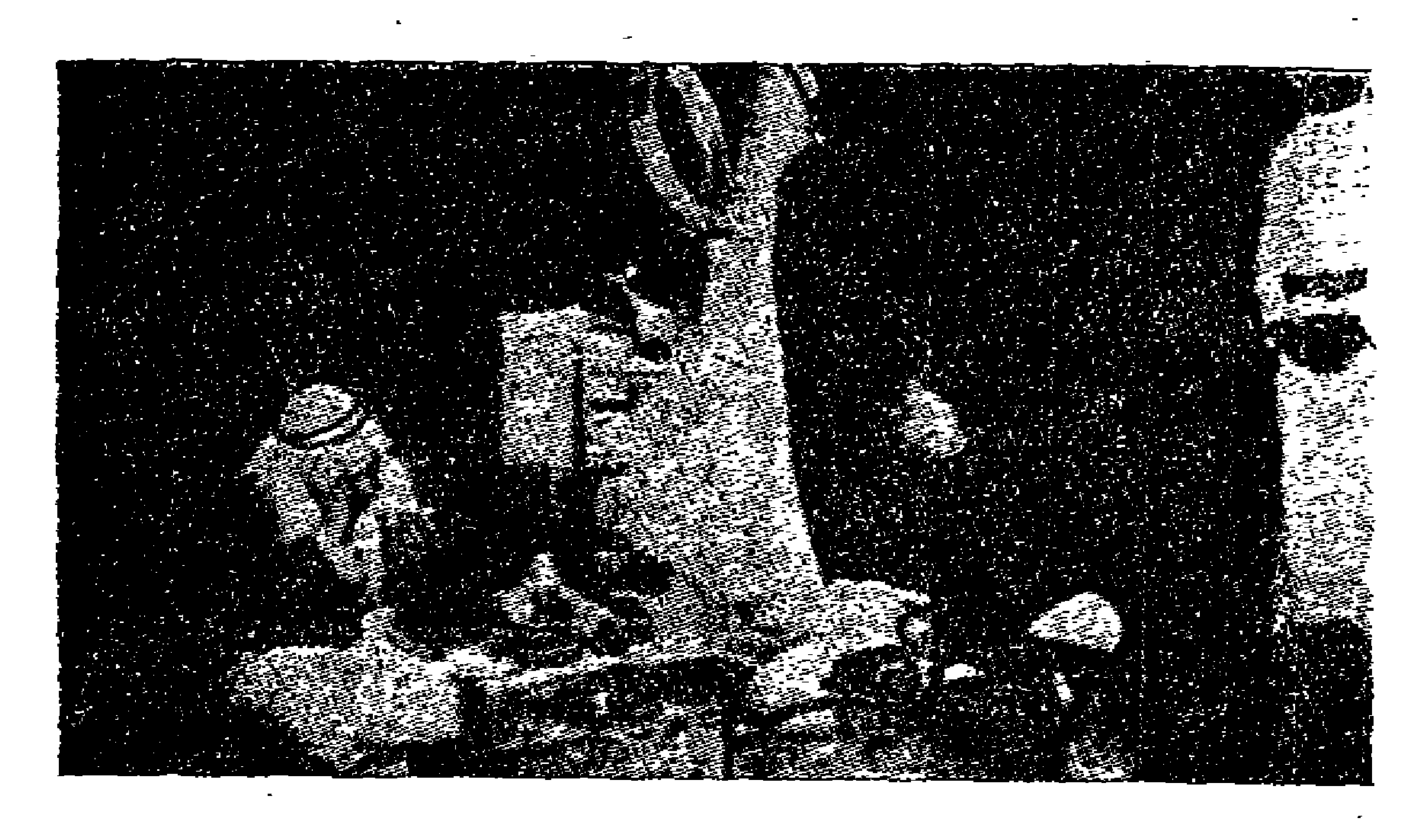
هذه القبائل وما لها من صلة بتلك الطقوس المشعوذة(١) التي تحوم حول وسائل شـــفاء كل مرض من الامراض المستعصية موضحا ما لهـذه الخرافات والمزاعم من صلات بمفاهيم الاسلام ، حتى أن القارىء ينتهي به المطاف بين ما اســتوعبه من عرض مغرض لعادات وتقـاليد أعراب فلسطين الى أن يتشكك في أمر هؤلاء القوم الذين سلبت أراضيهم وشردت الجمـوع الغفيرة من مواطنيهم في البلاد العربية المجاورة حيث تبدو قضيتهم بالنســبة للخرافات وضروب الشـــعوذة التي يصورون غارقين في ظلماتها ـ تبـدو تلك القضـــية هينة لمن لا علم له بتـلك الدعايات المغرضة التي من شأنها تضليل الرأى العام واثارة الشك أينما يوجد اليقين في قضية عرب فلســطين ، بل تبـدو الصهيونية حيـــال هـــذه الدعاية المتقمصة ثـوب العلم والمعرفة ـ منقذة لتلك الشعوب الضالة المهددة بأن تنكب بالأمراض والأوبئة وأن تظل تتخبط في ظلمـات الجهـل والمعتقدات الخرافية وأنه لا سبيل الى انقاذ تلك الشعوب الا على يد الزعيم الصهيوني • وفي أمثـــال تلك المقالات المروجة للمخطط الصهيوني تظهر قضية الفن سواء أكان فنا تشكيليا أو شعبيا من الوسـائل التي تســتعين بها الأبواق الداعية لهذا المخطط •

ومن اليسير أن يتنبه المرء الى أن الفنان العربي عليه أن يقابل تلك الادعاءات بفضـحه اياها وتفنيده أساليبها

---

(١) انظر شكل ٨ •

الخبيثة حتى لا تضلل السـذج الذين قد ينساقون وراء طلب مزيد من تحرر الفنـون أو مزيد من توثيـق عالمية الفنون ، أو يطالبـون فى اندفاعاتهم وجموحهم باتخـاذ الفنون وسيلة لتقريب وجهات النظر بين الشعوب بعضها البعض ، أو يرون فى مثل دراسات الفنون الشعبية التى أوردنا ذكرها تطويرا لمعتقدات طالما جمدت وأعاقت تطور هذه القبائل أو الشعوب ـ وما من سبيل أمام الفنان العربى الا أن يتنبه الى أن مثل هـذه الادعاءات على الرغم ممـا تتضمنه من معان انسانية ـ لا تخلو من ذلك الأسـاس السياسى الذى يجب أن يتخذ نحوه موقفا ايجابيا ..



شكل (٨) الفنون العربية وكيف تفسر على انها من ضروب الشعوذة .

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

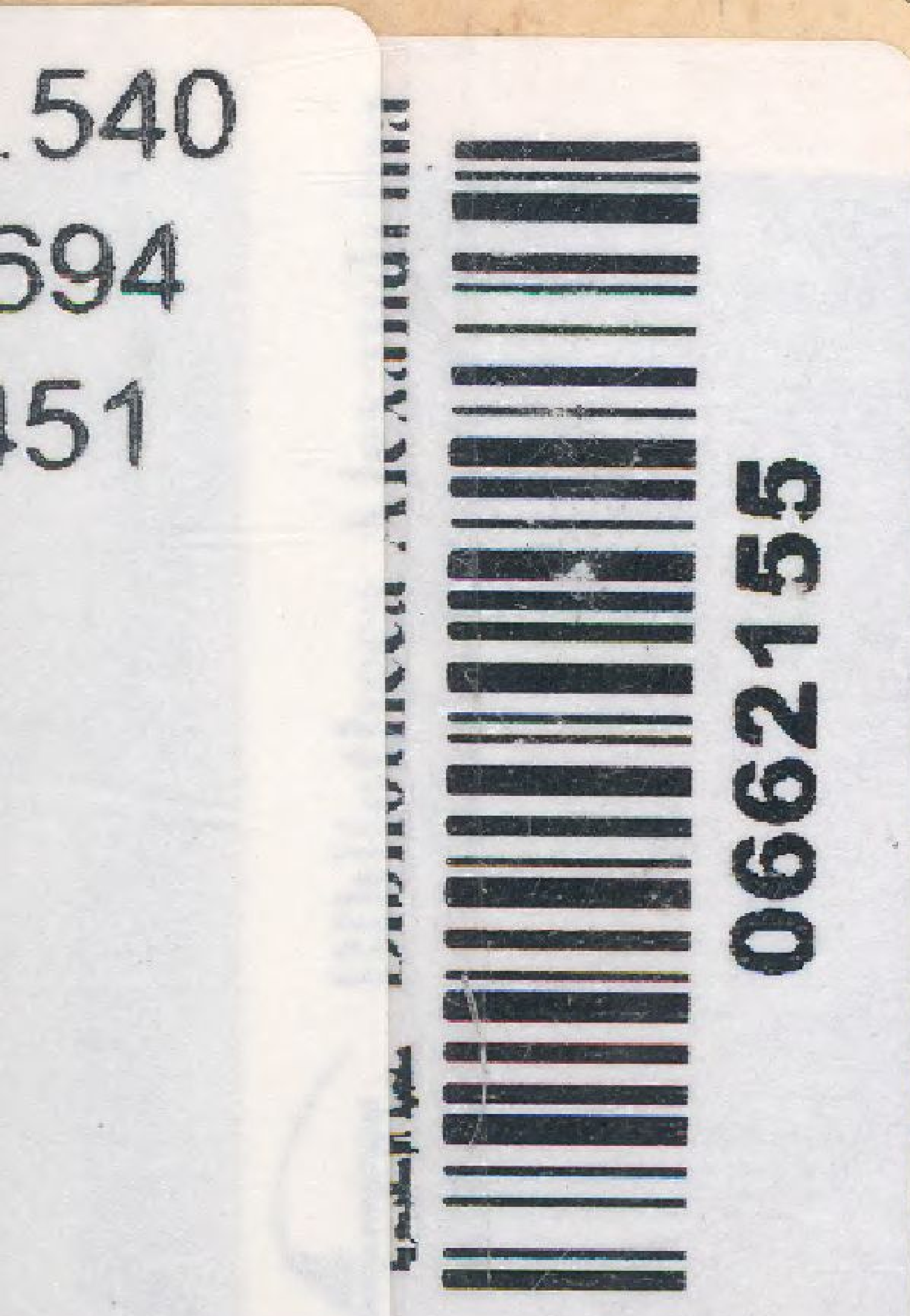
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٣/٥٢٦٢

الثمن ٥ قروش

هذا الكتاب

يدحض مزاعم المزيفين لتاريخ اليهود والمتعصبين لدورهم فى مجال الفنون ، ويبرز التناقضات التى عاشها الفن الصهيونى وفقدانه للمقومات الأساسية التى تجعله فنا مستقلا متميزا ٠

سعد الخادم



الكتاب القادم :

الكيمياء فى الكون والحياة

تأليف : د ٠ عبد الملك أبو عوف